روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

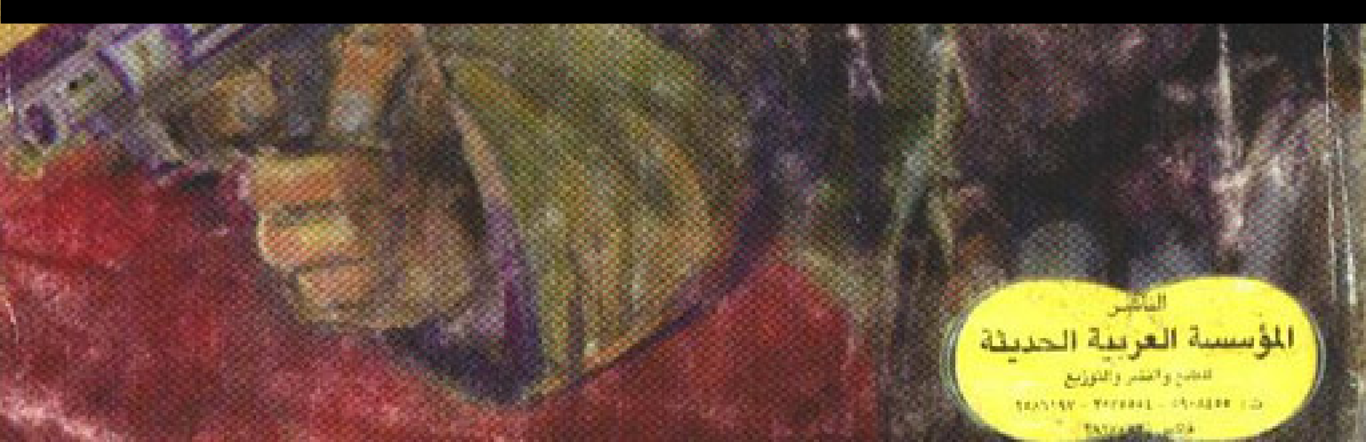
# عملية النيل

125

د. نبيل فاروق

Looloo





# رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

## ١- الأب والابن ..

« السادة ركاب طائرة ( مصر ) للطيران .. الرحلة رقم ( ... ) تستعد للهبوط الآن ، فى مطار ( جى . إف . كيه ) فى ( نيويورك ) .. قائد الطائرة وطاقمها يهنئونكم بسلامة الوصول ، برجاء ربط الأحزمة ، والامتناع عن التدخين .. الساعة الآن الثانية وسبع دقائق ظهرًا ، حسب التوقيت المحلى ، ودرجة الحرارة سبع وعشرون درجة مئوية .. »

أسبلت ( جيهان ) جفنيها فى استرخاء ، وهى تربط حزام مقعدها ، وترسم على شفتيها ابتسامة ، بدت على الرغم منها عصبية متوترة ، وهى تسترجع فى ذهنها ما أصابها، فى صراعها الأخير مع السنيورا(*) ، وتمزج هذه الذكرى بالأمل ، الذى بعثه ( أدهم ) فى أعماقها ، عندما قرَّر أن يجرى لها عملية جديدة للغاية ، على نفقة مؤسسة ( أميجو ) ، لإعادة قدرتها على السير(**) .

---

(*) راجع قصة ( عمالقة الجبال ) .. المغامرة رقم (١١٧)

(**) راجع قصة ( اللمسة الأخيرة ) .. المغامرة رقم (١٢٤)

كانت تشعر تجاهه بامتنان لا محدود ، بعد مبادرته النبيلة ، التى انتزعتها من صحراء اليأس ، وأحاطتها بأمل جديد ، أنعش فى قلبها الرغبة فى الحياة مرة أخرى ..

« حمدًا للّه على السلامة .. »

همس بها رجل المخابرات المصرى المرافق لها ، بابتسامة هادئة حانية ، فانتزعها من أفكارها ، وجعلها تفتح عينيها ، متمتمة :

- هل هبطت الطائرة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، فغمغمت ، وهى تحلّ حزام مقعدها :

- يا له من طيار بارع !

لم تكن تشعر بالارتياح ، وهم ينقلونها على مقعد متحرك ، عبر مخرج خاص بالمعوقين ، فأشاحت بوجهها ؛ لتتفادى نظرات الركاب، وقالت فى عصبية :

- إننى أمقت هذا المقعد .

دفعها رجل المخابرات أمامه ، وهو يقول فى هدوء :

- سنعود بدونه بإذن اللّه .

هتفت :

- يا رب .



وأغلقت عينيها مرة أخرى ، وكأنما تفرّ من نظرات التساؤل والفضول ، وهما يتجاوزان الدائرة الجمركية، ويغادران مبنى المطار ، و ..

« السيِّدة ( جيهان ) ؟! »

اخترق السؤال أذنيها ، بلغة إنجليزية ، ولهجة جنوبية واضحة ، فرفعت عينيها إلى صاحبه الذى بدا هادئًا مبتسمًا ، وهو يكرِّر :

- أنت السيدة ( جيهان ) أليس كذلك ؟!

أجابه رجل المخابرات :

- بلى .. من أنت بالضبط ؟!

أبرز الرجل هويته ، قائلاً :

- ( ماكارثى ) .. مندوب قسم العلاقات العامة ، بمؤسسة ( أميجو ) للإليكترونيات .. مرحبًا بكما فى ( نيويورك ) .. أنا هنا بتكليف من سنيور ( أميجو ) شخصيًا ، ومهمتى أن أيسِّر لكما كل سبل الإقامة والعيش ، وأن أعمل على توفير جناح مناسب بالمستشفى ، لإجراء عملية الزرع .

سألته ( جيهان ) بلهفة :

- هل سنيور ( أميجو ) هنا ؟!

ظلَّ الرجل محافظًا على ابتسامته ، وهو يهزَ رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ كلاً يا سيِّدتى .. من النادر أن يأتى سنيور ( أميجو ) بنفسه إلى هنا .

لقد تلقينا أوامره عن طريق قناة ( انترنت ) خاصة(*) .

غمغمت فى إحباط واضح :

ـ آه .. فهمت .

هزَّ الرجل رأسه ، وكأنما يعلن تفهُّمه للموقف ، ثم أشار بيده ، قائلاً :

ـ مرحبًا بكما مرة أخرى فى ( نيويورك ) .

---

(*) الانترنت : اختصار لكلمة ( International network ) ، أو الشبكة العالمية ، ولقد بدأت شبكة المعلومات هذه كدائرة اتصالات عسكرية سرية محدودة ، حتى أواخر الثمانينات ، عندما تم تطويرها إلى دائرة معلومات جامعية ، ثم إلى شبكة معلومات صناعية وعلمية ، ومع تطوُّر أجهزة الكمبيوتر والاتصالات ، تحولت شبكة ( الانترنت ) إلى شبكة معلومات واسعة بلا حدود ، بحيث تغطى العالم أجمع ، وتحوى ما يزيد على عشرين مليون موقع ، تحوى مختلف المعارف والمعلومات .



وإثر إشارته ، اتجهت نحوهم سيارة ( فان ) صغيرة ، وهبط منها رجلان فى حماس واضح ، وتعاونا لدفع مقعد ( جيهان ) المتحرِّك داخلها ، فى حين تساءل رجل المخابرات المصرى ، فى شىء من الحذر :

ـ تُرى أين سنقيم بالضبط ، حتى يتحدَّد موعد عملية الزرع ؟!

لم تتغيَّر ابتسامة الرجل ، وهو يتابع عملية نقل ( جيهان ) ومقعدها إلى السيارة ، ويجيب فى هدوء :

ـ الليلة فقط ستقيمان فى ( هيلتون ) ( مانهاتن ) ، أما غدًا ..

ولم يستمع رجل المخابرات إلى باقى العبارة ..

شىء ما جذب انتباهه فى شدة ، وجعل مشاعره كلها تتجه نحوها دفعة واحدة ..

انتفاخ بسيط ، فى الجانب الأيسر من سترة رجل العلاقات العامة ..

انتفاخ لا يمكن أن يخطئه رجل أمن مدرَّب ..

وبحركة سريعة ، وقبل أن يتمَ الرجل عبارته ، أمسك رجل المخابرات المصرى ذراعه فى قوة ، وهو يتساءل فى صرامة :

ـ قل لى يا هذا ؟! ما الذى يدفع مندوب علاقات عامة عاديًّا ، إلى حمل مسدس كبير كهذا ؟!

انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، واختفت ابتسامته دفعة واحدة ، وانقلبت سحنته على نحو عجيب ، وهو يلتفت إلى رجل المخابرات فى حركة حادة ، فى حين هتفت ( جيهان ) فى توتر :

ـ مسدس .

استدار إليها الرجل ، وهو يقول فى عصبية :

ـ إنها ( نيويورك ) يا سيِّدتى ، و ..

تحرَّكت يد رجل المخابرات المصرى فى سرعة ، لتلتقط المسدس من غمده ، المعلَّق تحت أبط الرجل ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ وماذا ؟!

وهنا ، انقلب الموقف كله دفعة واحدة ..

فما إن انتزع رجل المخابرات المسدس ، حتى انقضَّ عليه مندوب العلاقات العامة الزائف ، فى شراسة وحشية ، فى نفس اللحظة التى فوجئت فيها ( جيهان ) بمنديل مبلل بسائل ذى رائحة نفاذة ، يكتم أنفها وفمها فى عنف ..



ومن طرف عينيها ، شاهدت ( جيهان ) رجلين آخرين ، ينقضَّان على زميلها من الخلف ، فى نفس اللحظة التى لكم فيها المندوب الزائف فى أنفه مباشرة ، ورأت أحدهما يهوى على مؤخرة رأسه بهراوة قصيرة ثقيلة ، و ....

وعلى الرغم من مقاومتها المستميتة ، أظلمت الدنيا أمام عينيها بغتة ..

وانتهى كل شىء ..

ومع سقوط رجل المخابرات المصرى أرضًا ، وثب مهاجموه داخل ( الفان ) ، التى أطلقت إطاراتها صريرًا رهيبًا ، وهى تنطلق مبتعدة بأقصى سرعتها ، ورجال أمن المطار يعدون خلفها ، محاولين عبثًا منعها من الفرار ..

ومن بعيد ، برزت يد أنثوية ذات قفاز حريرى أسود ، من نافذة سيارة فاخرة ، ونفضت رماد سيجارة طويلة رفيعة ، قبل أن تقول صاحبتها فى صوت واثق ، ولهجة تجمع بين الظفر والسخرية :

ـ عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .

قالتها ، وانطلقت من حلقها ضحكة ساخرة ، وهى

تلقى سيجارتها خارج النافذة ، وتشير إلى السائق ، الذى انطلق بالسيارة وعيناه تتألقان فى وحشية عجيبة ..
وحشية توحى بأن هذه السيارة تحمل الشر ..
كل الشر ..

* * *

انعقد حاجبا مديرة كلية ( بن جوريون ) للناشئين فى قلق حذر ، وهى تتطلع إلى الرجل الأشيب الشعر ، الذى يقف أمامها هادئاً رصيناً قبل أن تميل نحوه ، متسائلة فى توتر :
ـ أدون ( موراى ) .. هل تدرك أن المعلومات التى تطلبها خاصة للغاية ، ولا يجوز إطلاعك عليها ، طبقاً لقوانين التعليم فى ( إسرائيل ) ؟ وباعتبارنا أفضل كلية للناشئين فى ( تل أبيب ) ، فلن يمكننى تلبية مطلبك هذا ، مع خالص اعتذارى .
شدّ ( أدهم ) قامته ، وبدا واثقاً قوياً أمام المديرة ، وهو يقول :
ـ أدرك هذا بالطبع يا سيدتى ، ولكن للضرورة أحكام كما يقولون .
سألته فى عصبية :



ـ وأية ضرورة تلك ، التى تستدعى معرفة كل هذه المعلومات ، عن أحد تلاميذنا ؟!
أكسب ( أدهم ) صوته رنة خاصة ، توحى بخطورة ما يقول ، وهو يميل نحو المديرة بدوره ، هامساً :
ـ ضرورة أمنية .
تراجعت المديرة كالملسوعة ، وهى تهتف :
ـ أمنية ؟!
وبدا التوتر على سكرتيرتها الخاصة ، التى تقدّمت نحو ( أدهم ) ، قائلة :
ـ أدون (موراى) .. عندما سمحت لك المديرة بـ ...
قاطعها ( أدهم ) ، وهو يعتدل ، ويشير إليها إشارة صارمة ، فتمتمت مرتبكة :
ـ أدون ( موراى ) .
أجابها ( أدهم ) فى حزم :
ـ هل يمكنك تركنا وحدنا ؟!
أطلّ شىء من الذعر ، من عينى المديرة ، فى حين هتفت السكرتيرة مستنكرة :
وحدكما ؟!
وتحركت المديرة فى عصبية ، نحو كومة الأزرار على مكتبها ، وهى تقول :

ـ أدون ( موراى ) .. لقد تجاوزت كل الـ ..

استدار إليها ( أدهم ) بحركة صارمة غاضبة ، جعلتها تتراجع كالمصعوقة ، وتهتف فى ذعر بلا حدود :

ـ الأمن .. أين رجال الأمن ؟!

أجابها (أدهم) ، وهو يبرز بطاقة خاصة من جيبه :

ـ هنا يا سيِّدتى .

حدَّقت المديرة فى تلك البطاقة بدهشة ، وانطلق قلبها يخفق فى عنف ..

فالبطاقة التى أمامها ، والتى تحمل نفس الصورة ، التى تنكَّر فيها ( أدهم ) فى إتقان ، كانت تحمل فى أعلاها حروفًا شهيرة للغاية ..

حروف اسم ( الموساد ) ..

جهاز المخابرات الإسرائيلى ..

وعلى الرغم من أن المديرة لم تكن قد رأت ، فى حياتها كلها ، بطاقة واحدة ، من تلك البطاقات غير القابلة للتزوير ، التى يحملها رجال ( الموساد ) شأنها شأن أى مواطن عادى ، إلا أن الاسم جعلها تغمغم فى انبهار :

ـ آه .. هى مسألة أمنية إذن !



أعاد ( أدهم ) البطاقة إلى جيبه ، قائلاً بابتسامة رصينة :

ـ بالضبط .

تحرَّكت السكرتيرة فى عصبية ، وهى تقول :

ـ سيِّدتى .. هل ..

قاطعتها المديرة فى حزم :

ـ اتركينا وحدنا .

انتفضت السكرتيرة فى استنكار ، هاتفة :

ـ سيِّدتى !..

قاطعتها المديرة فى صرامة :

ـ لدينا ما نناقشه ، أنا وأدون ( موراى ) .

انعقد حاجبا السكرتيرة الشمطاء بضع لحظات فى حنق ، قبل أن تتمتم فى عصبية :

ـ آه .. فهمت .

ثم غادرت الحجرة ، وأغلقت بابها خلفها فى حدة ، فهزَّت المديرة كتفيها ، وجلست خلف مكتبها ، وهى تشير بيدها إشارة غير ذات معنى ، قائلة :

ـ لا تلق بالاً لغضبها يا أدون ( موراى ) .. لقد اعتادت أن تسير كل الأمور على نحو يناسبها .

ابتسم ، قائلاً :

- ربما لأنها تشبه ( جولدا مائير ) كثيرًا(*) ..
ضحكت المديرة ، هاتفة :
- بالتأكيد .
ثم ذابت ضحكتها في سرعة ، وسط بحر الصرامة المحفور على ملامحها ، وهى تعتدل فى مقعدها ، وتسأله فى حزم :
- والآن يا أدون ( موراى ) .. هلاً أعدت مطلبك على مسامعى !
نطقتها ، دون أن تدرى كم فجَّرت من مشاعر فى أعماقه ..
كم ألهبت أحاسيسه ..
وذكرياته ..
وكيانه كله ..
ها هو ذا أخيرًا ، قاب قوسين أو أدنى من ابنه الوحيد ..

---

(*) جولدا مائير : رئيسة وزراء إسرائيلية سابقة ، كانت تحتل منصبها فى أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وفى أثناء مبادرة السلام ، التى قام بها الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) ، لزيارة القدس.



ذلك الابن ، الذى ربط يومًا ، بينه وبين ألد الأعداء ، عبر تاريخه الطويل ..
( سونيا ) ..
( سونيا جراهام )(*) ..
الابن الذى تصوَّر يومًا أنه قد فقده بسببها .. إلى الأبد(**) .
إنه لن ينسى قط عبارتها الشامتة ، وهى تخبره أن أبشع ما تنتقم به منه ، هو أن ينشأ ابنه الوحيد وينمو ، فى قلب العدو ..
فى قلب ( إسرائيل ) ..(***)
تلك العبارة التى سحقت قلبه يومئذ، ومزقته بلا رحمة..
العبارة ، التى بقى بسببها فى ( إسرائيل ) ، بعد أن أنهى مهمته ، وأعاد صديقه ( قدرى ) إلى ( القاهرة ) ..(****)

---

(*) راجع قصة ( جزيرة الجحيم ) .. المغامرة رقم (٨٤) .
(**) راجع قصة ( الضربة القاصمة ) .. المغامرة رقم (١٠٠) .
(***) راجع قصة ( فوق القمة ) .. المغامرة رقم (١١٩) .
(****) راجع قصة ( اللمسة الأخيرة ) .. المغامرة رقم (١٢٤) .

لقد بقى ليستعيده ..

ليستعيد ابنه ، الذى لم تقع عيناه عليه ، منذ زمن طويل ..

طويل للغاية ..

والمؤلم أنه لم يعد يدرى كيف يبدو الآن ؟!

كيف صار ؟!..

أى وجه يحمل ؟!

بل وأى اسم ؟!

كل هذا جال بخاطره فى ثانية واحدة ، قبل أن يشدّ قامته ، ويتحرّك فى حجرة مكتب مديرة كلية ( بن جوريون ) للناشئين(*) ، قائلاً :

- منذ فترة قريبة ، واجه العالم خطرًا نوويًا رهيبًا، بسبب شيطانة آدمية ، لا يعرف قلبها الشفقة أو الرحمة.. ربما لم تسمعى عن هذا الأمر قط يا سيّدتى، لأن كل الحكومات حرصت على أن تضعه طى الكتمان، ولكن الخطر كان رهيبًا بحق ..

---

(*) بن جوريون : أول رئيس وزراء ، بعد إعلان قيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨م ، وأول وزير دفاع لها ( ٤٨ - ١٩٥٣م) ، كان زعيمًا للحركات الصهيونية فى شبابه ، توفى عام ١٩٧٣ م .



جفَّ حلقها ، وهى تقول :

- أتعشَّم أن يكون قد انتهى .

أشار بيده ، قائلاً :

- تقريبًا .

حدَّقت فى وجهه مرة أخرى ، قبل أن تقول فى عصبية :

- أى جواب هذا يا أدون ( موراى ) ؟! هل انتهى الأمر أم لا ؟!

أجابها فى حزم :

- بالنسبة للخطر النووى ، فقد زال تمامًا يا سيّدتى .. اطمئنى .. أما بالنسبة لتلك الشيطانة ، فلم يتم حسم أمرها بعد .. لقد تطوَّرت الأمور على نحو غير تقليدى ، وانتهت بعلامة استفهام كبيرة .

وتوقَّف ليشير بكفيه ، متابعًا :

- لقد اختفت .. لم يعد لها وجود .. لا أحد يمكنه الجزم بما إذا كانت قد نجت ، أم لقيت مصرعها وسط الأحداث .

ازدردت المديرة لعابها فى صعوبة ، من فرط الإثارة ، وهى تتساءل :

- أليس لديكم دليل واحد ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، ثم أضاف فى حزم :

- إلا إذا ..

هتفت فى لهفة :

- إلا إذا ماذا ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، على نحو يشفّ عن معاناته ، وهو يقول :

- لتلك المتوحشة ابن وحيد .. طفل برىء ، لم يعان عذابات الدنيا بعد ، ولا يدرك شيئًا عن الصراع الجهنمى ، بين أمه وزوجها السابق ، الذى شغلتها شهوة الانتقام منه ، عن التمتع بأمومتها ..

سألته بصوت مبحوح :

- أهذا هو الطفل ، الذى تبحث عنه ؟!

أشار إليها بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .

اتسعت عيناها فى انبهار وانفعال ، وهى تسأله :

- ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟!

أجاب فى سرعة :

- ذلك الطفل سيكون ثريًا بالتأكيد ، ويقيم هنا طوال



الوقت .. لا أحد يأتى لزيارته إلا فيما ندر على الأرجح ، ونفقاته يتم دفعها بانتظام ، عن طريق بطاقات ائتمانية كبيرة شهيرة ، وذهبية بالتأكيد ، أو عبر تحويلات مالية ، من خارج ( إسرائيل ) .. عمره حوالى ..

استمعت إليه المديرة فى اهتمام بالغ ، وهو يتحدث عن الطفل ، وراحت تدوّن أمامها كل التفاصيل ، ثم هتفت فى حماس :

- أعتقد أننا نستطيع مساعدتك فى هذا .

قال فى توتر :

- أتعشم هذا يا سيدتى ، فلقد طفت عدة أماكن ، قبل أن آتى إلى هنا ، ولا يمكنك أن تتصورى كم يهمنا بشدة أن نعثر على ذلك الطفل ، فالتوصل إليه سيقودنا إليها مباشرة ، و ..

قاطعته فى حماس :

- يمكننى فهم هذا .

ثم ضغطت زرًا على مكتبها ، مستطردة :

- نعم .. أعتقد أن باستطاعتنا مساعدتك .

دلفت سكرتيرتها الشمطاء إلى الحجرة ، فى تلك اللحظة ، وألقت نظرة محنقة على ( أدهم ) قبل أن تقول:

ـ أمرك يا سيِّدتى .

ناولتها المديرة الورقة ، التى تحوى كل البيانات ، وهى تقول فى اهتمام واضح :

ـ استخدمى كمبيوتر الكلية ، وابحثى عن طفل تنطبق عليه هذه المواصفات .

ألقت السكرتيرة نظرة سريعة على الورقة ، ثم قالت فى خشونة :

ـ لدينا أطفال عديدون ، فى القسم الداخلى ، يمكن أن تنطبق عليهم هذه المواصفات .

أجابها ( أدهم ) فى برود :

ـ أريد قائمة بهم إذن .

مطَّت شفتيها ، وكأنما لا يروق لها هذا ، ثم قالت فى صرامة :

ـ سيستغرق هذا بعض الوقت .

أجابها ( أدهم ) بنفس البرود :

ـ سأنتظر .

مطَّت شفتيها أكثر ، وعادت تلقى نظرة على الورقة ، قبل أن ترفع عينيها إلى ( أدهم ) ، قائلة فى غلظة :



ـ فليكن .. يمكنك الانتظار .. على الأقل ستجد وقتًا للحديث مع زميلك .

ردَّد ( أدهم ) فى حذر :

ـ زميلى ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت من خلفه ، يقول :

ـ ( موراى ) .. أيها المسن .. إذن فقد عدت من رحلتك الطويلة .

انعقد حاجبا ( أدهم ) فى شدة ، وعقله ينطلق كالصاروخ ، فى محاولة لتمييز الصوت ، وهو يلتفت إلى صاحبه ..

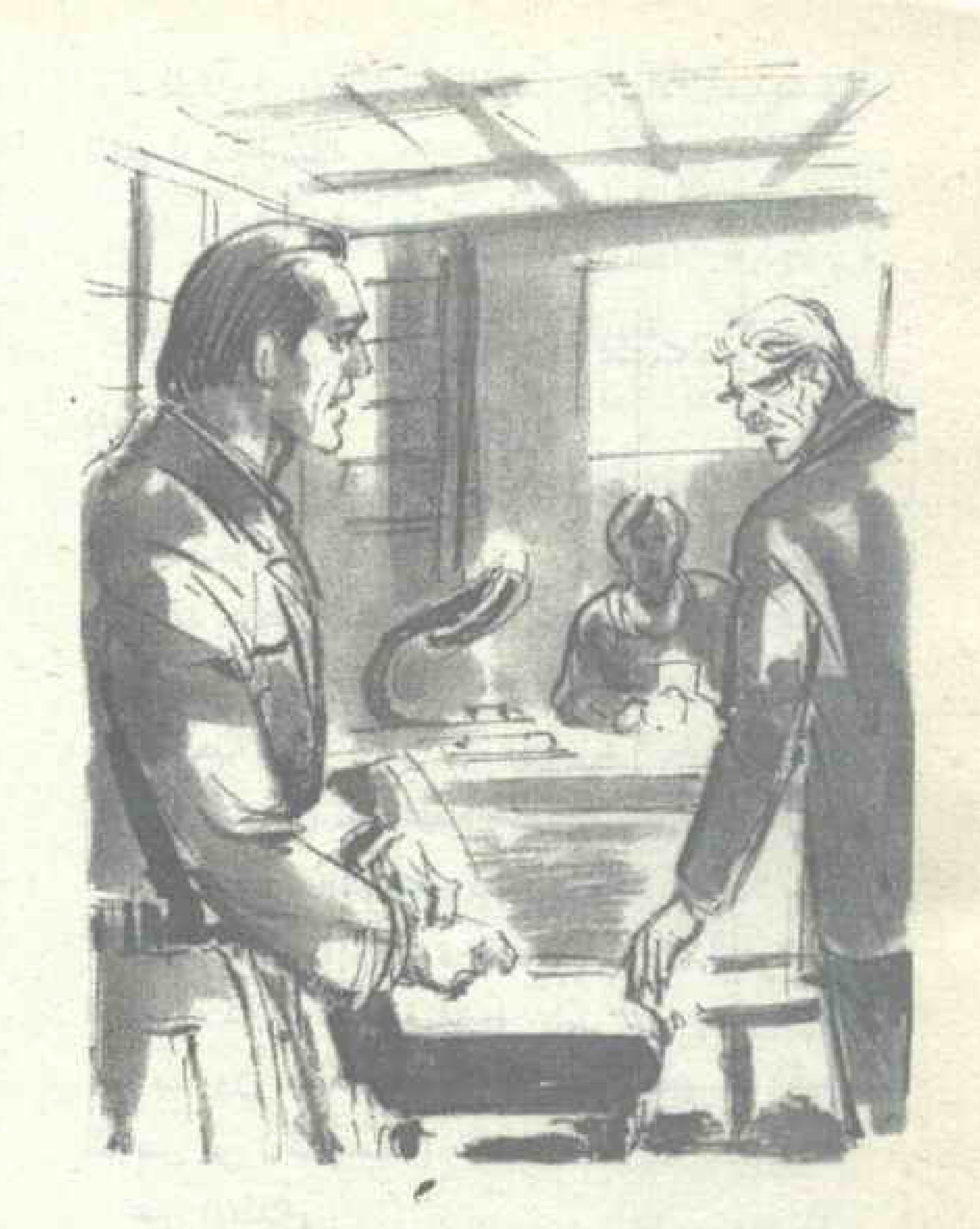
وقبل حتى أن تقع عيناه عليه ، كان ( أدهم ) قد أدرك من يواجه بالضبط ..

فذلك الزميل ، الذى أشارت إليه السكرتيرة الشمطاء كان ( ديلشمسكى ) ..

( يارون ديلشمسكى ) .. أخطر ضباط القسم الخاص فى ( الموساد ) ..

على الإطلاق .

* * *



وقبل حتى أن تقع عيناه عليه ، كان ( أدهم ) قد أدرك من يواجه بالضبط ..

# ٢ - وجـه الخطـر ..

كل خلية فى جسد رجل المخابرات المصرى (نادر)، كانت تحمل طنًا من التوتر والانفعال ، انتقلت كلها إلى صوته وأصابعه ، وهو يهتف عبر هاتف المنزل الآمن فى ( نيويورك ) :

- لقد اختفت تمامًا يا سيِّدى .. كلاً .. عملية الزرع الإليكترونى ليست خدعة .. مندوبو مؤسسة (أميجو) أتوا لاصطحابنا بالفعل ، وأخبرونى ، بعد أن استعدت وعيى ، أن حادثة طريق قد أخَّرتهم عن الحضور فى الموعد المناسب ، ومن الواضح أن بعضهم افتعل كل هذا ، حتى يمكنه اختطاف ( جيهان ) ..

سأله مدير المخابرات المصرية من ( القاهرة ) ، فى توتر شديد :

- ولكن لماذا ؟! بم يمكـن أن تفيدهم ( جيهـان ) ، فى حالتها هذه ؟!

أجابه ( نادر ) :

- ربما كانت وسيلة للضغط على العقيد ( أدهم ) ، على نحو أو آخر يا سيِّدى .. هناك حتمًا من يعلم أنه صاحب المؤسسة الحقيقى .

كان عقل المدير يعمل فى سرعة ، وهو يقول :

- أو ربما هى محاولة للحصول على ما لديها .

كرَّر ( نادر ) فى توتر :

- ما لديها ؟!

أجابه المدير فى حزم :

- بالتأكيد يا رجل .. ربما كانت ( جيهان ) مقعدة ، فى الوقت الحالى ، ولكنها ما زالت واحدة من جهاز المخابرات المصرى ، ولديها طنٌّ من المعلومات ، التى يقاتل الكثيرون للحصول عليها .

قال ( نادر ) :

- ولكن هذا يرتبط بمؤسسة ( أميجو ) ، على نحو أو آخر يا سيِّدى .. قلت لك : إنهم كانوا فى انتظارنا.

صمت المدير بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى الأمر مليًا ، قبل أن يسأل :

- هل لديكم أية فكرة عن المكان ، الذى اصطحبوا ( جيهان ) إليه ؟!



أجابه ( نادر ) فى توتر :

- إننا نبذل قصارى جهدنا يا سيِّدى .. إننى أشعر بمسئوليتى الخاصة ، تجاه هذا الأمر ، باعتبارى المسئول الأوَّل عن أمنها وسلامتها ، لذا فبعد إذنك يا سيِّدى ، سأتولَّى القضية بنفسى ، ولن أعود إلى ( القاهرة ) ، إلا بعد حسمها تمامًا .

قال المدير فى حزم :

لك هذا .

ثم أنهى الاتصال، وهو يلتفت إلى معاونيه ، قائلاً :

- لماذا ؟!

أجابه أحدهم فى سرعة :

- اختطاف ضابط مخابرات عملية تستحق المخاطرة يا سيِّدى .

قال المدير فى حزم :

- ربما كان هذا صحيحًا ، فى زمن الحرب ، أو حتى فى أثناء الفترات المتوترة ، بين أجهزة المخابرات بعضها وبعض ، ولكن ليس فى ظروف مستقرة ، أو حتى هادئة نسبيًا .. فطوال الوقت ، هناك ضباط من مختلف أجهزة المخابرات ، يجولون

هنا وهناك ، عبر دول العالم المختلفة ، دون أن تحاول أجهزة المخابرات المنافسة قتلهم أو اختطافهم، خشية إشعال حرب خفية ، قد لا تنتهى إلا بعد أن يخسر الجانبان عشرات الضباط ، دون طائل يذكر .

والتقى حاجباه لحظة أخرى ، وهو يضيف :

ـ كلاَّ .. إنها ليست عملية مخابرات .

سأله معاون آخر فى حيرة :

ـ ما هى إذن ؟!

هزَّ مدير المخابرات رأسه ، مجيبًا :

ـ حتى الآن ، لا أحد يدرى .

ثم التفت إلى معاونيه ثانية ، مكملاً فى صرامة :

ـ وهنا يبدأ عملنا .

وشدَّ قامته ، وهو يواجههم ، مستطردًا :

ـ أن نعلم ... وبسرعة .

وكان هذا يحسم الأمر ..

ويبدأ مهمة جديدة ..

وخطيرة ..

★ ★ ★



من المؤكَّد أن ظهور ( ديلشمسكى ) فى هذه اللحظة بالذات ، لم يكن أمرًا سارًا على الإطلاق ..

لقد كانت مفاجأة عنيفة ..

وسخيفة ..

صحيح أن ( أدهم ) قد تقمَّص شخصية رجل ( الموساد ) الكهل ( جيل موراى ) ، بدقة مدهشة ، كعادته إلا أن التعامل مع مديرة مدرسة يهودية ، فى التاسعة والخمسين من عمرها شىء ، ومواجهة ذئب مفترس مثل ( يارون ديلشمسكى) شىء آخر تمامًا ..

ولقد بدا هذا واضحًا ، منذ اللحظة الأولى للمواجهة ..

ففى هدوء شديد ، وبخطوات بطيئة واثقة قوية ، ونظرة فاحصة مدقِّقة ، تكاد تنفذ من عينيه الزرقاوين إلى أعماقك ، دلف ( ديلشمسكى ) إلى الحجرة ، قائلاً :

ـ عجبًا !.. كنت أتصوَّر أنك ستعود مساء الغد .

كان أنيقًا فى إفراط كعادته ، فيرتدى معطف مطر باهظ الثمن ، وقفازين من الجلد ، على الرغم من أن الطقس لم يكن باردًا إلى هذا الحد ، ويتألَّق حذاؤه

الإيطالى لامعًا مصقولاً ، وكأنما خرج على الفور من ورشة أحذية فاخرة ..

أما ملامحه الوسيمة للغاية ، فقد بدت باردة ساخرة كعادته ، وعيناه تفحصان كل شبر من جسد ( أدهم ) فى سرعة ودقة ..

وعلى الرغم من عامل المفاجأة ، ومن ثقته بقدرات ( ديلشمسكى ) ومهاراته ، ظلَّ ( أدهم ) محتفظًا بهدوئه الخارجى ، وإن افتعل سعالاً قصيرًا ، ليخفى به أى اختلاف ضئيل فى صوته ، عن صوت ( موراى ) الحقيقى ، وهو يقول :

ـ كان هذا مقرَّرًا فى الواقع ، ولكنك تعرف كيف تتبدَّل الأمور .

هزَّ ( ديلشمسكى ) كتفيه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. أنا أيضًا عدت صباح اليوم من ( أمريكا الجنوبية ) .

ثم لوَّح بكفه ، وغمز بعينه ، مستطردًا بابتسامة سخيفة :

ـ أنت تعلم أننى مسئول عن تلك المهمة هناك .



لم يكن ( أدهم ) يدرى شيئًا عن تلك المهمة ، التى يشير إليها ( ديلشمسكى ) ، إلا أنه أشار بيده ، وهو يقول ، مقلدًا أسلوب ولهجة ( موراى ) :

ـ آه .. بالتأكيد .

رمقه ( ديلشمسكى ) بنظرة أخرى ، قبل أن يقول:

ـ عجبًا .. يبدو أن طقس جنوب شرق ( آسيا ) يناسبك كثيرًا يا عزيزى ( موراى ) ؛ فأنت تبدو لى بصحة أفضل .

غمغم ( أدهم ) فى اقتضاب :

ـ هذا صحيح .

ابتسمت مديرة الكلية ، وهى تشير إلى ( ديلشمسكى ) ، قائلة :

ـ أدون ( ياؤل ) والد أحد تلاميذنا .

أجاب ( أدهم ) بنفس الاقتضاب :

ـ أعلم هذا .

ثم عاد يشد قامته ، ويكمل بلهجة حازمة :

ـ حسن يا سيِّدتى .. أشكرك على تعاونك ، وسأعود بعد ساعة ، للحصول على المعلومات المطلوبة .

سألته فى دهشة :

ـ ألن تنتظر ؟!

أجابها ( أدهم ) ، بابتسامة باهتة :

ـ بل سأعود بعد ساعة واحدة .. هذا يناسبكم .. أليس كذلك ؟!

بدا الاهتمام على وجه ( ديلشمسكى ) ، وهو يسأله :

ـ أية معلومات تلك ، التى تبحث عنها هنا يا ( موراى ) ؟!

مطَّ ( أدهم ) شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ مجرَّد عمل يا (يارون) .. لا تشغل نفسك بأمره..

ثم سأله فى سرعة قبل أن يمنحه فرصة للتساؤل:

ـ قل لى : هل ستعود مرة أخرى إلى ( أمريكا الجنوبية ) ؟!

ابتسم ( ديلشمسكى ) ، ورمق المديرة بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، فذلك الشىء ما زال هناك .

قالها ، وهو يشير بسبَّابته إلى أعلى ، على نحو



أثار الكثير من حيرة ( أدهم ) واهتمامه ، إلا أن الظروف المحيطة به ، جعلته يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. لقد أسعدنى لقاؤك هنا يا ( يارون ) .. سأحاول الاتصال بك غدًا ، و ..

قاطعه ( يارون ) فى صرامة :

ـ انتظر يا ( موراى ) .

التفت إليه ( أدهم ) بحركة حادة ، فأضاف بصرامة أكبر :

ـ إنك لن تغادر هذا المكان الآن .

قالها ، وارتفت يده ، لتغوص فى معطفه ..

وهنا انعقد حاجبا ( أدهم ) فى شدة ..

وانقبضت كل عضلة فى جسده ..

فمع لهجة وأسلوب ( ديلشمسكى ) ، كان من الواضح أن المواجهة بينهما ستبدأ الآن ..

بلا إبطاء ..

على الإطلاق ..

* * *

ومضة من الضوء تألَّقت بغتة ، فى رأس (جيهان)، ممتزجة بصوت عميق ، يقول بالإنجليزية :



٣٠١ ... المستحيل عدد ١٢٥ ، عملية ...

ـ سيِّدة ( جيهان ) .. افتحى عينيك .. لقد استعدت وعيك .. نحن نعلم هذا .

كان من الصعب عليها أن تفتح عينيها مباشرة ، مع الضوء المسلَّط عليهما ، من مصباح يدوى صغير ، فتمتمت ، وهى تحمى عينيها بكفها :

ـ ومن أنتم ؟!

بدا لها الصوت صارمًا للغاية ، وصاحبه يقول :

ـ ليس هذا من شأنك .

ابتعد الضوء المباشر عن عينيها ، مع عبارته هذه ، ففتحتهما فى بطء ، وتطلَّعت إليه فى اهتمام ..

كان ذلك الرجل ( ماكارثى ) ، الذى استقبلها وزميلها ، فى مطار ( نيويورك ) ..

وكان وحده معها ، فى حجرة كبيرة ، بها فراش ومقعد ، بخلاف مقعدها المتحرِّك ، الذى ما زالت تجلس عليه ، وفى نهايتها كان هناك باب صغير ، يجاور نافذة مرتفعة ، من الزجاج شبه المعتم ..

وخلف تلك النافذة ، كان هناك ضوء ..

وظلّ ..



لم يمكنها تمييز ذلك الظلّ فى البداية ، وهى تسأل الرجل فى حدة :

ـ هل لى أن أفهم ما يحدث هنا ؟!

هزَّ كتفيه ، وهو يجلس على المقعد ، ويقول فى هدوء :

ـ كل ما يمكنك معرفته هو أننا سنستضيفك هنا لبعض الوقت .. لن يكون طويلاً ، من الناحية الزمنية ، ولكن أسلوبك وتعاونك يمكن أن يجعلاه قطعة من الجنة ، أو حفرة من الجحيم .. فما رأيك ؟!

أجابته فى سخرية عصبية :

ـ كلمة استضافة تعبير لطيف بالفعل ، ولكنه يبدو سخيفًا للغاية ، فى ظروفنا هذه ، فلماذا لا نتحدَّث فى صراحة ووضوح ؟!

ابتسم فى سخرية ، وهو يشعل سيجارته ، قائلاً :

ـ لديك أسئلة كثيرة .. أليس كذلك ؟!

هتفت :

ـ يا للعبقرية ! اسمح لى بصفعك أيها الذكى .

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ المشكلة أنك لن تحصلى على أية أجوبة شافية ، فى الوقت الحالى .

قالت فى عصبية :

ـ ومن يحتاج إليها ؟! الأمر واضح للغاية .. أنتم من ( الموساد ) .. أليس كذلك ؟!

ابتسم فى سخرية ، مجيبًا ، وهو ينفث دخان سيجارته فى وجهها :

ـ خطأ .. ربما كانت لنا صداقات مع ( الموساد ) ، ولكننا لا ننتمى إليه بالتأكيد .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ والأفضل أن توفرى كل محاولات الذكاء حتى تنتهى العملية ، ونلقى بك خارجًا .

مالت نحوه ، متسائلة بصوت خافت :

ـ ربما كانت لدى فكرة محدودة .

هتف :

ـ ماذا تقولين ؟! لست أسمعك جيدًا .

تابعت بصوت أكثر خفوتًا، وكأنها لم تسمع هتافه :

ـ إنكم تحتجزوننى هنا لسبب ما .. أو للحظة ما .

بدا عليه التوتر ، وهو يميل نحوها أكثر ، ويدير وجهه ليواجهها بأذنه ، قائلاً فى حدة :

ـ ارفعى صوتك أيتها الـ ..



قبل أن يتمّ عبارته ، تحركت يداها فى سرعة مدهشة ، فجذبته إليها من سترته بيمناها ، فى حين وثبت يسراها تختطف مسدسه من غمده ، وتهوى به على فكه بضربة عنيفة ، هاتفة :

ـ إياك أن تنطقها .

تفجّرت الدماء من أنفه وفمه ، وتطايرت إحدى أسنانه ، فى نفس الوقت الذى واصلت هى فيه حركتها السريعة ، فأحاطت عنقه بساعدها الأيمن ، وضغطته فى غلظة ، وهى تغرس فوهة مسدسه فى عنقه بقسوة ، قائلة بلهجة صارمة عنيفة :

ـ من انتم ؟! وماذا تريدون منى ؟!

هتف ( ماكارثى ) بصوت مختنق :

ـ اتركينى .. إنك تقتليننى .

صرخت :

ـ قل لى من أنتم ؟!

ومع صرختها ، اقتحم ثلاثة رجال المكان ، وهم يرتدون أقنعة واقية من الغازات ، ويحملون أسطوانات صغيرة ، أطلقوا منها فيضًا من الغازات فى وجهها ، فأدارت فوهة المسدس نحوهم ، وأطلقت رصاصاتها ، صارخة :



وثبت يسراها تختطف مسدسه من غمده ، وتهوى به على فكه بضربة عنيفة ..

ـ من أنتم ؟!

وفى تلك اللحظة ..

فى تلك اللحظة فقط ، لمحت ذلك الظل ، خلف النافذة شبه المعتمة ..

وميَّزته ..

كان ظل امرأة ، تمسك سيجارة طويلة رفيعة ، وتنفث دخانها فى بطء ..

وكان هذا آخر ما رأته ( جيهان ) ، قبل أن تظلم الدنيا من حولها ..

تمامًا ..

★ ★ ★

لثوان ، تحفَّزت كل عضلة فى جسد ( أدهم ) ، للانقضاض على ( ديلشمسكى ) ، والاشتباك معه فى معركةً عنيفة ..

ولكن الإسرائيلى ابتسم ..

ابتسم ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ انتظر قليلا ، فسأنهى عملى هنا سريعًا ، وننصرف معًا .. هناك أمور مهمة للغاية ، أود التحدُّث معك بشأنها .

كان من الممكن أن يرفض ( أدهم ) البقاء ، وأن يجد ألف ألف حجة للانصراف ، والعودة بعد ساعة واحدة ، للحصول على كافة المعلومات الخاصة بابنه ..

أو بمن تتشابه ظروفهم مع ابنه ..

ولكن شيئًا ما جعله يفضّل البقاء ..

لقد راودته رغبة قوية ، فى معرفة تلك المهمة ، التى يسعى ( ديلشمسكى ) من أجلها ، فى ( أمريكا الجنوبية ) ..

لذا فقد انتظر ..

ولم يستغرق بقاء ( ديلشمسكى ) سوى دقائق معدودة ، راجع خلالها أوراق ابنه ودرجاته العملية ، قبل أن يغادر المكان ، وهو يضع يده على كتف ( أدهم ) ، قائلاً :

ـ كلانا لم يكن هنا ، فى الآونة الأخيرة ، ولكن من المؤكّد أنك سمعت مثلى عما فعله ( أدهم صبرى ) هنا .. أليس كذلك ؟!

أومأ ( أدهم ) برأسه ، مغمغمًا :

ـ بلى .



ابتسم ( ديلشمسكى ) فى خبث ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

ـ قل لى يا عزيزى ( موراى ) .. هل لعودتك المبكّرة علاقة بما حدث هنا ؟!

سأله ( أدهم ) فى حذر :

ـ ماذا تعنى ؟!

سار (ديلشمسكى) إلى جواره نحو سيارته ، قائلاً :

ـ أنت تعلم أنهم قد أوقفوا ( دافيد ) و( جولدمان) ، وهذا يعنى أن منصب رئيس البيت الكبير صار شاغرًا ، وسيبحثون حتمًا عمن يشغله .

سأله ( أدهم ) :

ـ وهل تتصوّر أننى الشخص المناسب للمنصب ؟!

أطلق ( ديلشمسكى ) ضحكة قصيرة خبيثة ، قبل أن يقول :

ـ كلانا يصلح للمنصب يا عزيزى ( موراى ) ، ولكن أحدًا لم يعرض على قط ، فما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

هزَّ ( أدهم ) رأسه نفيًا ، وتوقَّف عند سيارته ، قائلاً فى صرامة :

ـ لا يعنى شيئًا يا ( يارون ) .

أطلق ( ديلشمسكى ) ضحكة أخرى ، قائلاً :

ـ هكذا ؟!

ثم أشعل واحدة من سجائره فى عصبية، مستطردًا:

ـ اسمع يا ( موراى ) .. أنت تعلم أننى لا أميل إلى المناصب والأعمال المكتبية بطبيعتى ، ولكن ، بالنسبة لما أقوم به الآن ، فأنا أعتقد أننى الشخص المناسب تمامًا ، لهذه الوظيفة الشاغرة .

قال ( أدهم ) فى حذر ، محاولاً استدراجه للحديث عن مهمته :

ـ ربما كان هذا من وجهة نظرك فحسب .

هزَّ ( ديلشمسكى ) رأسه فى قوة ، ونفث دخان سيجارته فى عصبية ، قائلاً :

ـ كلاَّ يا ( موراى ) .. إنهم يدركون أهمية وخطورة هذه العملية ، وإلا ما اختارونى خصيصًا من أجلها .. لقد حاولوا ثلاث مرات من قبل ، وباءت كل محاولاتهم بالفشل .. هل نسيت هذا ؟!



تحفَّزت مشاعر ( أدهم ) ، والتهبت أكثر وأكثر ، على نحو جعله يقول فى حزم :

ـ هذا الحديث لا يصلح هنا يا ( يارون ) .. تعال ندور بسيارتى بعض الوقت .. هذا أكثر أمنًا .

غمغم ( ديلشمسكى ) فى عصبية :

ـ فليكن .

انطلقت بهما السيارة ، وراح ( أدهم ) يدور بها فى شوارع ( تل أبيب ) ، تاركًا ( ديلشمسكى ) ينفث غضبه مع دخان سيجارته ، حتى انتهى منها ، فألقاها من النافذة ، ثم التفت إليه ، قائلاً فى حدة :

ـ لقد أسندوا إلى مهمة معقَّدة للغاية ، مع ميزانية تتجاوز العشرة ملايين دولار ، وقاعدة إطلاق صواريخ سرية خاصة .. ألا يعنى هذا أنهم يثقون تمامًا بقدراتى .

غمغم ( أدهم ) فى حذر :

ـ بالتأكيد .

أشعل ( ديلشمسكى) سيجارة أخرى ، وهو يقول :

ـ كانت أمامهم فرصتان لتنفيذ المهمة ، ولكنهم فشلوا تمامًا .. مرة فى ( فرنسا ) ، والأخرى فى ( كورو ) .. ولو نجحوا لاختلف الموقف تمامًا ..

كانت الأمور ستصبح أيسر ، والتكاليف ستنخفض إلى العُشر على الأقل .

التقى حاجبا ( أدهم ) فى شدة ، وقد بدا عقله يرسم صورة للمهمة ، التى بدت له مخيفة إلى حد رهيب ، فغمغم فى حذر :

ـ ولكن كل شىء استقرّ الآن ، فما الذى يمكن فعله ؟!

قال ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

ـ الكثير .

ثم نفث دخان سيجارته فى قوة ، قبل أن يتابع فى حدة :

ـ من الخطر أن نسمح لهؤلاء العرب بالتقدُّم والتطوُّر على هذا النحو .. إنهم أعداء .. مهما عقدنا معهم معاهدات سلام ، أو اتفاقيات ، أو مهادنات .. إنهم يفوقوننا عددًا ، ولديهم حماس شديد ، عندما تتاح لهم فرصة القتال .

والتفت إليه فى عصبية ، وهو يلوِّح بيده ، هاتفًا :

ـ هل نسيت كيف كانوا ، فى حرب أكتوبر ؟! ..



لقد قاتلوا كالأسود الكواسر .. واجهوا الدبابات بصدورهم العارية ، وحطموا خط ( بارليف ) ، وعبروا القناة .. هل نسيت ؟!

أخفى ( أدهم ) ابتسامته ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى أن أنسى بالتأكيد .

قال ( ديلشمسكى ) فى حدة :

ـ كل هذا فعلوه ، بأقل قدر من التكنولوجيا ، وبأبسط الطرق ، وأكثرها فاعلية ، فماذا لو منحتهم تكنولوجيا العصر .

غمغم ( أدهم ) :

ـ سيصبحون أكثر قوة .

هتف ( ديلشمسكى ) :

ـ بل سيصبحون ماردًا ، لن يمكننا أن نقف فى وجهه قط .

ثم ألقى سيجارته الثانية عبر النافذة ، مضيفًا :

ـ ولهذا لا ينبغى أن نسمح لهم بالتقدُّم قط .. هذا ما قدَّرته القيادة منذ زمن طويل .. وهذا ما جعلنا نغتال كل عبقرية علمية تظهر وسطهم ..

( سميرة موسى ) ، و( سعيد بدير ) ، و ( يحيى المشد ) ، وغيرهم ..(*)

قال ( أدهم ) ، وهو يخفى غضبه :

ـ لا يمكننى أن أنسى هذا أيضًا .

تنهّد ( ديلشمسكى ) ، وحاول أن يسيطر على توتره ، وأن يسترخى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ وفى هذه المرة ، كانوا يعلمون أن خطوتهم ستقفز بهم ألف عام إلى الأمام، لذا فقد أحاطوا الأمر

---

(*) الدكتورة ( سميرة موسى ) ( ١٩١٧ ـ ١٩٥٢ م ) هى الفتاة الوحيدة التى تخرجت من كلية العلوم ، دفعة ١٩٣٩ م ، سافرت إلى ( بريطانيا ) ، وحصلت على شهادة الدكتوراه فى الإشعاع النووى عام ١٩٤٨ م ، واغتالتها يد ( الموساد ) فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ م ، فى الطريق إلى ( كاليفورنيا ) ، أما الدكتور ( سعيد السيد بدير ) فقد اغتاله الإسرائيليون ، بسبب أبحاثه الخاصة بالتشويش على أقمار التجسس الصناعية فى ١٣ يوليو ١٩٨٩ م ، والدكتور ( يحيى المشد ) أحد علماء الطاقة النووية ، كان مسئولاً عن البرنامج النووى العراقى ( وهو مصرى الجنسية ) ، عندما اغتاله ( الموساد ) فى ( باريس ) ، فى ١٣ يونيو ١٩٨٠م ، حيث تم العثور عليه ذبيحًا ، فى الغرفة رقم ( ٩٠٤١ ) ، فى فندق ( ميريديان ) .



بكل حراستهم ورعايتهم ، واختاروا أفضل طاقم أمن لديهم ، حتى أمكنهم إكمال المهمة بسلام .

ثم ابتسم فى شراسة ، متابعًا :

ـ ولكن هذا لم يكن يعنى أن الأمر قد انتهى بالنسبةَ لنا ، فبعد ثلاثين ساعة أو أقل من الآن ، سينفجر حلمهم فى الفضاء ، ويتحوّل إلى أثر بعد عين ..

قالها ، واتسعت ابتسامته ، لتتحوّل إلى ضحكة شامتة كبيرة ..

ولم يكن الأمر بحاجة ـ عندئذ ـ للكثير من الذكاء ، حتى يدرك (أدهم) طبيعة مهمة ( يارون ديلشمسكى)، فى ( أمريكا الجنوبية ) ..

ولا طبيعة الهدف ، الذى يسعى خلفه ( الموساد ) هذه المرة ..

لقد كان قمرنا الصناعى الأوّل ( نايل سات ) .. بالتحديد .

* * *

# ٣ - القمر ..

قلب الزنجى ( ميرفى ) ، ملك العالم السفلى فى ( نيويورك ) شفتيه الغليظتين ، وهو يتطلع فى استخفاف إلى ( نادر ) ، رجل المخابرات المصرى ، الذى وقف أمامه حازمًا متماسكًا ، وهو يقول :

- بعضهم أرشدنى إليك يا مستر ( ميرفى ) .. أخبرونى أنك تستطيع إفادتى فيما أبحث عنه .

راح ( ميرفى ) يعبث بخنجر ضخم ، من خناجر الصيد ، فيلقيه ويلتقطه فى خفة ومهارة ، وكأنما يستعرض قدراته أمام ( نادر ) ، وهو يتفحص هذا الأخير ببصره عدة مرات ، قبل أن يمسك مقبض الخنجر أخيرًا فى قوة ، ويلوّح به فى وجه رجل المخابرات ، قائلا بصوت خشن غليظ ، يشف عن وضاعة منشئه :

- ومن بعضهم هؤلاء ؟! رجال الشرطة الفيدرالية ، أم مباحث القتل ؟

أجابه ( نادر ) فى صرامة :



- أصدقائى ليست لهم أية صفات رسمية هنا .

لم ترق هذه اللهجة القوية الواثقة للزنجى ، الذى انعقد حاجباه الكثّان فى غضب ، وهو يقول :

- من أرسلك إلى هنا ؟!

عقد ( نادر ) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- أناس لا يرغبون فى كشف هوياتهم ، ولكنهم مستعدون لدفع ثمن المعلومات .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

- وبسخاء .

لم يكن أسلوب ( نادر ) يناسب ( ميرفى ) قط ، وهو الذى اعتاد أن ترتعد فرائص القوم ، إذا ما ذُكِر اسمه ، أو ظهرت صورته ، واعتاد أن ينهار الكبار أمامه ، ويجثون طالبين الرحمة ، و ..

« فتشوه جيدًا .. » .

هتف بالعبارة فى حدة ، فاندفع ثلاثة من رجاله نحو ( نادر ) ، وراحوا يفتشونه فى غلظة وخشونة ، قبل أن يلتفت أحدهم إلى ( ميرفى ) ، قائلاً :

- لا أسلحة .

وأضاف زميله ، فى شىء من الإحباط :

ـ أو نقود .

انعقد حاجبا ( ميرفى ) الكثين أكثر وأكثر ، وهو يسأل ( نادر ) فى عصبية :

ـ أحضرت لمقابلتى بلا أسلحة ؟!

أومأ ( نادر ) برأسه إيجابًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لست بحاجة إليها .

استفزَّ جوابه الزنجى أكثر وأكثر ، فمال نحوه ، وعاد يلوّح بخنجره فى وجهه ، وهو يقول فى حدة :

ـ اسمع يا هذا .. إما أنك أحمق مجنون ، أو أن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، تحرَّك ( نادر ) فى سرعة مدهشة ، فوثب يركل الخنجر من يده ، ثم دار حول نفسه ، والتقطه فى الهواء ، وهبط على مسافة متر واحد إلى يسار ( ميرفى ) ، ليضع نصل الخنجر على عنق هذا الأخير ، قائلاً فى صرامة :

ـ هل سنضيع الوقت كله ، فى هذه الحوارات السخيفة ، أم نبدأ عملنا على الفور ؟!

احتقن وجه الزنجى بشدة ، وسرت موجة عنيفة من التوتر بين رجاله ، الذين استلّوا أسلحتهم فى سرعة وغضب ، فى حين هتف هو فى عصبية :



ـ حسن .. ماذا تنتظر ؟! اذبحنى .. هيا .. افعلها .. لست أبالى .

أجابه ( نادر ) فى شىء من الازدراء :

ـ ومن يبالى ؟!

ثم ألقى الخنجر لصاحبه ، مضيفًا :

ـ هيا يا رجل .. دعنا لا نضيع المزيد من الوقت .

اتسعت عيون الرجال فى ذهول ، وهم يحدقون فى ( نادر ) ، الذى عاد إلى موضعه ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، ويتطلَّع إلى ( ميرفى ) فى حزم ..

ولثانية أو ثانيتين ، تجمَّد المشهد تمامًا ، فى هذه الصورة ..

ثم تفجَّرت فجأة صيحة غضب ، والجميع يندفعون نحو ( نادر ) ، و ..

« قفوا .. » .

انطلق الهتاف من بين شفتى ( ميرفى ) ، بكل غلظته ، وصرامته ، وخشونته ..

وتجَمد الجميع فى أماكنهم ..

والتفتوا فى دهشة إلى ( ميرفى ) .

وفى صرامة فظة ، هتف الزنجى :

- اتركونا وحدنا ، أنا وهذا السيِّد .

ثم ابتسم ابتسامة كبيرة ، برزت معها أسنانه الصفراء القذرة ، وهو يكمل :

- فلدينا ما نتحدَّث بشأنه .

تبادل الرجال نظرات غاضبة ، ثائرة ، محنقة ، وسرت بينهم همهمات ساخطة ، إلا أنهم جميعًا ، باستثناء الحارسين الخاصين ضخمى الجثة ، قد غادروا المكان فى استسلام ورضوخ ، وما إن اختفى آخرهم ، حتى هتف ( ميرفى ) ، وهو يلتقط زجاجة شراب :

- رائع يا رجل .. لقد راق لى حقًّا ما فعلت .. راق لى كثيرًا .

وصبَّ كأسين من الشراب ، دفع أحدهما نحو ( نادر ) ، مستطردًا فى جذل عجيب :

- والآن أخبرنى يا رجل .. ماذا تريد بالضبط ؟! ما الذى تبحث عنه ؟!

أزاح ( نادر ) الكأس جانبًا ، وهو يجيب :

- امرأة :

قهقه ( ميرفى ) ضاحكًا ، وهتف بأسلوب مبتذل :

- كلنا هذا الرجل يا صديقى .. كلنا هذا الرجل .



أكمل ( نادر ) ، متجاهلاً ذلك التعليق القذر تمامًا :

- المرأة ، التى تم اختطافها من مطار (جى . إف . كيه ) ، منذ ساعات .

توقَّفت يد (ميرفى) ، وهى ترفع كأسه إلى شفتيه ، والتقى حاجباه الكثَّان لحظة فى شدة ، قبل أن يعيد الكأس إلى المائدة ، قائلاً :

- لحساب من تعمل يا رجل ؟!

سأله ( نادر ) :

- ألديك أية معلومات عن الأمر ؟!

تردَّد ( ميرفى ) لحظة ، ثم لم يلبث أن نهض من مقعده الضخم ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- فى عالمنا لا يمكنك أن تحبس المعلومات طويلاً يا رجل ، ولكن ليس كل ما يُعرف يُقال ، كما يقولون فى عالمك .

غمغم ( نادر ) :

- إنك لا تدرى شيئًا عن عالمى .

ابتسم ( ميرفى ) فى سخرية ، قائلاً :

- كنت أقصد كل ما هو خارج عالمنا .

ثم هزَّ رأسه ، مكملاً :

ـ وما تطلبه يمسُّ منطقة شديدة الخطورة من عالمنا هذا .. منطقة ينبغى أن يتوخَّى المرء كل الحذر ، قبل أن يدنو منها .

قال ( نادر ) فى بطء :

ـ قول لا يليق بالملك ( ميرفى ) .

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى الزنجى ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم لوَّح بسبَّابته ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكن الثمن لن يكون بسيطًا .

لوَّح ( نادر ) بسبَّابته بدوره ، قائلاً :

ـ لا تقلق نفسك من هذه الناحية .

تمتم الزنجى :

ـ أتعشَّم هذا .

قالها ، وراح يرتشف كأسه فى بطء ، وعيناه منشغلتان بتفكير عميق ، وكأنما يعيد دراسة الأمر فى ذهنه مرات ومرات ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً :



ـ فليكن يا رجل .. امنحنى يومًا واحدًا ، و ..

قاطعه ( نادر ) فى حزم :

ـ ست ساعات .

استدار إليه ( ميرفى ) فى دهشة ، فكرَّر فى صرامة :

ـ ست ساعات فقط يا ( ميرفى ) .. وهذه أقصى مدة يمكننى انتظارها ، خاصة وأننى سأبذل قصارى جهدى ، فى كل ثانية منها ، للتوصُّل إليها ، ولو حدث هذا قبل أن تفعل أنت ، سيعدّ اتفاقنا لاغيًا .. هل تفهم ؟!

ابتسم ( ميرفى ) فى توتر ، وغمغم :

ـ اتفقنا .

استدار ( نادر ) لينصرف ، فهتف به الزنجى :

ـ لو اختصرت الزمن إلى ثلاث ساعات ، سيتضاعف المبلغ .

لوَّح ( نادر) بيده من خلف ظهره ، دون أن يجيب ، فألقى الزنجى ما تبقى من كأسه فى جوفه دفعة واحدة ، وهو يتابع انصرافه ، ولم يكد ( نادر) يغلق

الباب خلفه ، حتى قال أحد الحارسين الضخمين فى حدة :

- هل سنسمح له بالانصراف هكذا أيها الزعيم ؟!

مسح ( ميرفى ) شفتيه بكفه ، وهو يقول :

- إنه زبون .

ثم استرخى فى مقعده الكبير ، ولوَّح بسبَّابته فى الهواء ، مكملاً :

- السؤال هو : من يدفع أكثر ، مقابل هذه المعلومات ؟!

سأله أحد الحارسين فى حذر :

- ماذا تعنى يا زعيم ؟!

ابتسم ( ميرفى ) ابتسامة صفراء ، وهو يجيب :

- أعنى أنه هناك وسيلة مثلى ؛ للإفادة من هذه المعلومات ، إلى أقصى حد ممكن ، دون أن نثير غضب أحد .

قالها ، والتقط سمَّاعة هاتفه ، وتقافزت سبَّابته



بسرعة فوق الأزرار ، وانتظر حتى سمع صوت محدثَّه ، ثم هتف :

- ( ميرفى ) .. الملك .. كيف حالك يا رجل ؟!

كان من الواضح أن أسلوبه المبتذل لم يرق لمحدثَّه ، إذ انعقد حاجباه فى شىء من التوتر ، وقال فى خشونة :

- أريد التحدُث إلى السيِّدة .

وانتظر بضع لحظات ، قبل أن تتهلَّل أساريره مرة أخرى .. ويهتف :

- سيِّدتى .. أنا ( ميرفى ) .. الملك .. لدى أخبار تهمك .. تهمك للغاية ..

قالها ، واتسعت ابتسامته الصفراء أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

من المؤكَّد أن المفاجأة كانت قوية بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

فعلى الرغم من أن ( أدهم ) يعلم جيِّدًا تفاصيل المحاولة الإسرائيلية السابقة ؛ لإفساد القمر الصناعى

( نايل سات )(*) ، فى ( فرنسا ) و ( كورو ) ، إلا أنه لم يكن يتصوَّر قط أن تمتدّ هذه المحاولات إلى ما بعد إطلاق القمر ، واستقراره فى مداره ، وبدء تشغيله بالفعل(**) ..

ومن الواضح أنها محاولة جادة للغاية ..

---

(*) ( نايل سات ) : ( Nile Sat ) أوّل قمر صناعى مصرى ، وأوّل قمر اتصالات ، تمتلكه بالكامل دولة عربية ، ولقد بدأت فكرة صنعه فى أكتوبر ١٩٧٣ م ، ثم وقّع الرئيس ( مبارك ) وثيقة البدء فى تصنيعه فى ٣١ مايو ١٩٩٥ م ، وفى ١٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ، تم توقيع الاتفاقية بين اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، ومؤسسة ( ماترا ماركونى ) الفرنسية ، التى تولّت عملية التصنيع ، ولقد تم إطلاق القمر ، من خلال الصاروخ ( Arian 4 ) ، من ( كورو ) فى ( أمريكا الجنوبية) ، وهى أقرب نقطة للمدار المحدود لاستقراره .. ويبلغ وزن القمر حوالى الطنين ، وهو يتسع لاثنى عشرة قناة ، تصنع كل منها ست أو سبع قنوات فرعية مضغوطة ، وتقع محطة بثه الرئيسية فى مدينة ٦ أكتوبر ، أما المحطة الاحتياطية ، ففى منطقة ( الحمام ) فى ( الإسكندرية ) ..

(**) بدأ البث التجريبى للقمر ( نايل سات ) يوم ٣١ مايو ١٩٩٨ م .



محاولة بعشرة ملايين دولار ، وقاعدة صواريخ ، فى مكان ما من ( أمريكا الجنوبية ) ..

محاولة أحيطت بسرية بالغة ، حتى إنه لم يتم كشف أمرها إلا بالمصادفة ..

المصادفة البحتة ..

ومن الواضح أنها ضربة قدر ..

وفى الوقت المناسب تمامًا ..

وعلى الرغم من عنف المفاجأة ، ظلّت ملامح ( أدهم ) بسيطة هادئة ، وهو يقود سيارته فى شوارع ( تل أبيب ) ، وراح عقله يعمل بسرعة مذهلة ، للبحث عن وسيلة للحصول على جواب شاف لعشرات الأسئلة ..

متى سينفذ الإسرائيليون عمليتهم ؟!

أين ؟!

وكيف ؟!

وبكل حذر الدنيا ، ودون أن تنتقل ذرة واحدة من فضوله واهتمامه إلى صوته ، سأل ( أدهم ) ( ديلشمسكى ) :

ـ ومتى سيتم تنفيذ الخطة ؟!

هزَّ ( ديلشمسكى ) كتفيه ، قائلاً :

- المفترض أن أعود إلى هناك صباح الغد ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وقد استعاد ذلك الحذر التقليدى، الذى يتميَّز به كل رجل مخابرات فى العالم ، فالتقى حاجباه ، ومطَّ شفتيه ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

- هذا ليس موضوعنا على أية حال .

قال ( أدهم ) ، محاولاً استدراجه إلى موضوع عملية قمر النيل مرة أخرى :

- الواقع أننى أتساءل : لماذا نبذل كل هذا الجهد ، وننفق كل هذه الأموال ، لتدمير قمر اتصالات .

ابتسم ( ديلشمسكى ) فى سخرية ، قائلاً :

- يبدو أنك قد نسيت كل ما تعلمناه يا عزيزى ( موراى ) .. لقد أطلق المصريون اليوم قمر اتصالات ، وأضافوا اسمهم إلى قائمة الدول المرتادة للفضاء ، فما الذى يمنعهم من إطلاق قمر تجسُّس فى الغد ؟! المثل يقول : « أعطهم قيراطًا يطلبون فدانًا » .. لا تمنحهم أبدًا فرصة للتطوُّر والتقدُّم ، وإلا وثبوا إلى أعناقنا بعد أعوام قليلة ، وسحقونا سحقًا ..



ثم مال نحو ( أدهم ) ، مستطردًا فى مقت واضح :

- العرب قوة رهيبة يا ( موراى ) .. لو اتحدوا لتحوَّلوا إلى عملاق ، تعجز أية قوة فى الأرض عن التصدِّى له .. إنهم يمتلكون كل مقومات الدول العظمى .. الكفاءات البشرية ، والثروات الطبيعية ، والأموال ، والطاقة بكل أنواعها ، ولكن مشكلتهم أن اهتمامهم بالتكنولوجيا ضعيف ، ومقوماتهم منقسمة فيما بينهم ، والخطر كل الخطر ، يكمن فى تقدُّمهم أو اتحادهم ، والكارثة الكبرى لو اجتمع لهم هذا وذاك .. ( أمريكا ) نفسها لن تجرؤ عندئذ على مسِّ شعرة واحدة منهم .

غمغم ( أدهم ) :

- ونحن بالتالى .

هتف ( ديلشمسكى ) :

- بالضبط .

وأشعل سيجارة أخرى ، وهو يضيف :

- لذا لا ينبغى أن نسمح لهم بوضع أقدامهم على أوَّل السلم يا رجل ، وإلا فوجئنا بهم فى اليوم التالى ، فوق رءوسنا .

تمتم ( أدهم ) :

ـ بالتأكيد ..

ثم عاد يسأل ، وهو يدور بالسيارة :

ـ أعتقد أنك قد استغللت وجودك فى ( أمريكا الجنوبية ) وزرت شقيقك فى ( بوليفيا ) .. أليس كذلك ؟!

لوَّح ( ديلشمسكى ) بذراعه ، قائلاً :

ـ كلا بالطبع .. ( بوليفيا ) بعيدة عن موقعنا ، ثم إن ..

مرة أخرى بتر عبارته ، وانعقد حاجباه فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا .. إنك تلقى الكثير من الأسئلة هذه المرة يا ( موراى ) ، وعهدى بك لا تميل إلى هذا فى المعتاد .

رسم ( أدهم ) على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ الناس تتغيَّر يا ( يارون ) .

التفت إليه ( ديلشمسكى ) ، وأمعن النظر فيه هذه المرة ، وهو يقول فى بطء حذر :

ـ ليس إلى هذا الحد .



أدرك ( أدهم ) أن لحظة المواجهة قد حانت ، عندما مال ( يارون ) نحوه أكثر ، وراح يتفرَّس ملامحه فى توتر ملحوظ ، انتقل إلى صوته ، وهو يتابع :

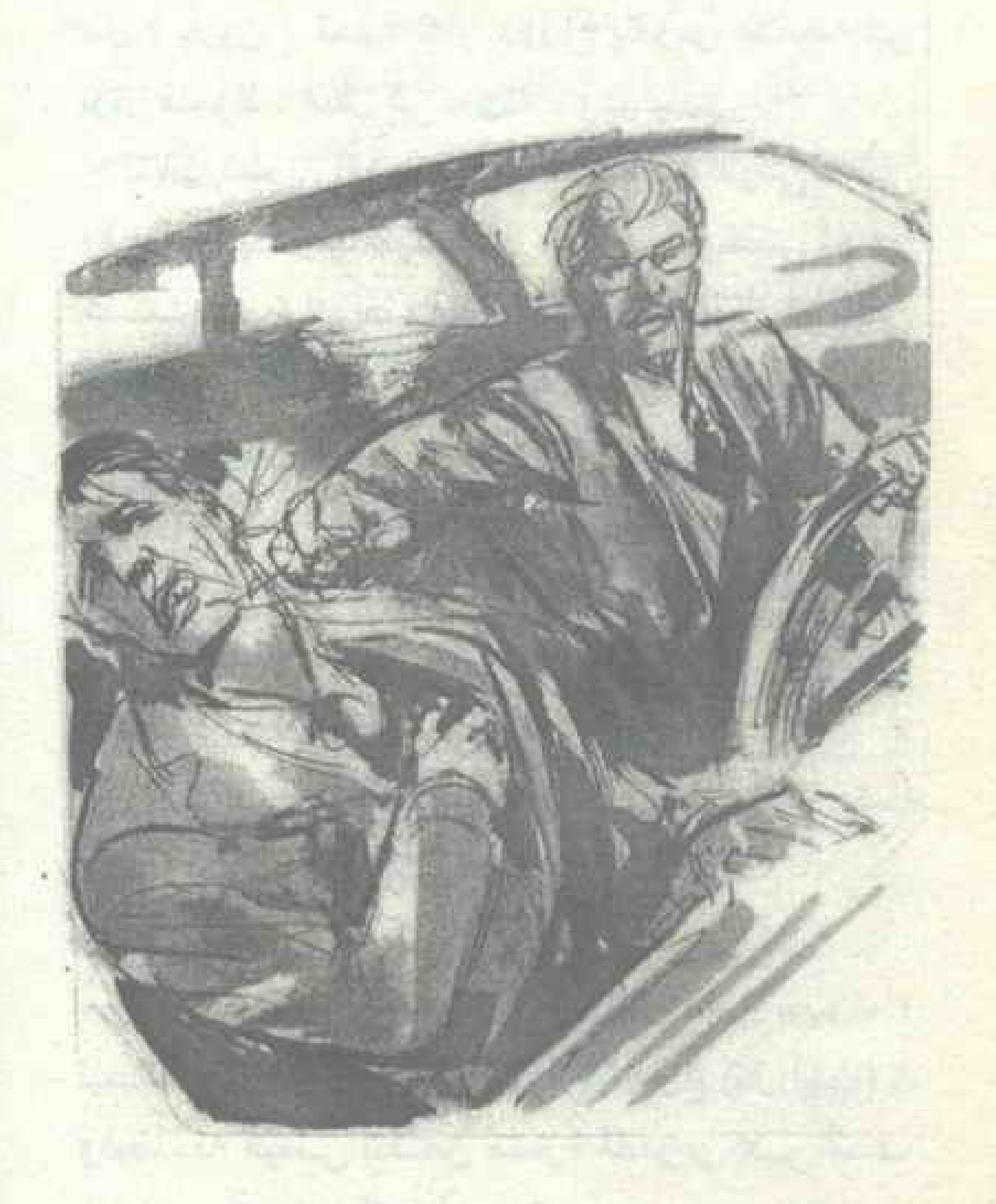
ـ هل تعلم .. لقد شعرت منذ اللحظة الأولى ، التى وقع فيها بصرى عليك أنك مختلف ، ولكننى لم أدر عندئذ فيم كان اختلافك .. لقد كنت تبدو لى نفس ( موراى ) الذى أعرفه ، ولكنك أكثر قوة وأوفر صحة ، وكأنما انخفض عمرك عشر سنوات على الأقل ، أو ..

كان يسحب مسدسه فى حذر ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، ولكن قبضة ( أدهم ) انطلقت تنفجر فى وجهه كالقنبلة ، على نحو مباغت ، فبترت عبارته ، ودفعته ليرتطم بباب السيارة فى عنف ..

وصرخ ( ديلشمسكى ) ، وهو ينقضَّ عليه بكل غضبه ، ويده ما زالت تمسك مسدسه الضخم :

ـ إذن فهو أنت .

أمسك ( أدهم ) مقود السيارة بكل قوته بيسراه ؛ ليحافظ على انطلاقها ، وسط شوارع (تل أبيب) ، وقبضته اليمنى تنقضَّ مرة أخرى على أنف ( ديلشمسكى ) ، قائلاً فى سخرية :



كان يسحب مسدسه فى حذر ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، ولكن قبضة ( أدهم ) انطلقت تنفجر فى وجهه ..

ـ نعم .. هو أنا أيها الوغد .

حطَمت اللكمة أنف ( ديلشمسكى ) ، فتفجَّرت منه الدماء على نحو مخيف ، وانطلقت من حلقه شهقة محنقة مختنقة ، وصرخ :

ـ إنها نهايتك أيها المصرى .

قالها ، وضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته ..

ولكن قبل انطلاقها بجزء من الثانية ، كان ( أدهم ) قد قبض على معصمه بأصابع من فولاذ ، ورفع فوهة المسدس عاليًا ، لتخترق الرصاصة سقف السيارة ..

وبحركة قوية عنيفة ، لوى ( أدهم ) معصم ( ديلشمسكى ) ، وهو يقول :

ـ لا ألعاب نارية أيها الحقير .

أفلتت أصابع ( ديلشمسكى ) مسدسه ، على الرغم منه ، فتضاعف غضبه، وخاصة عندما ركل ( أدهم) المسدس بقدمه إلى الخلف ، مما جعله ينقضّ على هذا الأخير كالوحش ، صارخًا :

ـ أنسيت أنك فى قلب ( إسرائيل ) ؟!

كان ( ديلشمسكى ) قويًا ذا بأس شديد، و ( أدهم ) يبذل جهدًا مزدوجًا ؛ للاشتباك معه ، والسيطرة على



السيارة فى الوقت ذاته ، لذا فقد انحرف بها إلى جانب الطريق ، عندما تلقَّى فكه لكمة قوية من قبضة الإسرائيلى ، فتخلَّى عن عجلة القيادة ، واستدار يصدّ لكمة أخرى من ( ديلشمسكى ) ، هاتفًا :

ـ كلاَّ .. لم أنس .

ارتطمت السيارة بالأفريز ، ووثبت فوقه ، لتقتحم متجرًا للعاديات ، و ( أدهم ) يرد اللكمة للإسرائيلى بكل قوته ، مستطردًا :

ـ ولكننا نختلف فى المسميات فحسب .

ثم أعقب اللكمة بثانية كالصاعقة ، مضيفًا فى صرامة :

ـ إننى أطلق عليها اسم ( فلسطين ) .

كانت اللكمة الأخيرة من القوة ، حتى إن رأس ( ديلشمسكى ) ارتطم بزجاج الباب فى عنف ، كان كافيًا لتحطيمه ، وقبل أن تتناثر شظاياه ، أمسك ( أدهم ) شعر الإسرائيلى ، ودفع جبهته نحو تابلوه السيارة ، وهو يكمل :

ـ وهو اسمها الحقيقى .

اصطدم رأس ( ديلشمسكى ) بالتابلوه فى عنف ، تحطمت معه واجهته الزجاجية ، ثم ارتفعت ركبة



( أدهم ) ، لتضرب فكه ضربة أخيرة ، سقط لها الإسرائيلى فاقد الوعى ..

ولم يكن من الممكن أن يضيع ( أدهم ) لحظة واحدة ، بعد هذه المواجهة الصريحة ، لذا فقد وثب خارج السيارة ، فى الوقت الذى اندفع فيه المارة وأصحاب المتجر نحوها ، وبدا صوت أبواق سيارات الشرطة واضحة ، ممتزجة بصوت شرطى الطريق ، الذى راح يشقّ الصفوف ، هاتفًا :

ـ ابتعدو أيها السادة .. ابتعدوا .. افسحوا الطريق للشرطة .

وعلى الرغم من الزحام، انسلّ (أدهم) فى خفة، ودسّ كفيه فى جيبى سرواله، وهو يبتعد فى خطوات سريعة..

يا لها من مصادفة مزدوجة عجيبة !

وصول ( ديلشمسكى ) إلى كلية ( بن جوريون ) ، فى تلك اللحظات بالذات ، كان سببًا فى كشف وجوده فى ( تل أبيب ) ، بعد أن تصوَّر الجميع أنه قد عاد إلى ( القاهرة ) ..

وانكشاف أمره هذا يفسد كل محاولاته لاستعادة ابنه ..

ويحتم عليه الانسحاب بسرعة ..

ليس خوفًا على حياته هذه المرة ..
ولكن خشية أنِ يقودهم بحثهم عنـه إلـى كشـف علاقتـه بذلك الطفل ، الذى طلـب جمـع المعلومـات الخاصة به ..
خشية أن يدركوا أنه ليس ابن ( سونيا جراهام ) فحسب ..
بل هو ابنه أيضًا ..
ابن ( أدهم ) ..
( أدهم صبرى ) ، عدوُهم الأوّل ، وأخطر رجال المخابرات المصرية على الإطلاق ..
ثم إن المصادفة نفسـها قادتـه إلـى كشـف بـالغ الأهمية والخطورة ..
إلى المؤامرة الرهيبة ، التى يُعدُها الاسرائيليون ، لتدمير قمرنا الصناعى الأوّل ..
( نايل سات ) ..
صحيح أنـه لم تسنح لـه فرصة كافية ؛ لمعرفـة التفاصيل الخاصة بتلك المؤامرة ، إلا أن لديه ما يكفى بالتأكيد ..
فالأمر يتعلّق بإطلاق صاروخ مجهـول الهويـة ؛ لنسف القمر فى مداره ..



وذلك الصاروخ سيتم إطلاقه من قاعدة سرية ، فى مكان ما من ( أمريكا الجنوبية ) ..
و ( يارون ديلشمسكى ) هو الـذى يتولّـى تنفيذ المهمة ..
وسيعود إلى ( أمريكا الجنوبية ) صباح الغد ..
وهذا يعنى أن المؤامرة لن تتم قبل مساء الغد .
وبسرعة مدهشة ، وذاكرة فوتوجرافيـة فذة ، راح عقلـه يراجـع جداول الطيران ، وهو يسير بخطـوات واسعة سريعة ، فى قلب ( تل أبيب ) ..
هناك طائرة مباشرة إلى ( برازيليا ) ، ستقلع فى السادسة والربع صباحًا ..
وأخرى سـتنطلق إلـى ( نيويـورك ) ، فـى تمـام الثامنة ..
وفى كل الأحـوال ، لـن يرحـل ( ديلشمسكى ) قبل تسع ساعات على الأقل ..
إذن فعليه أن يسبقه إلى هناك ..
وبأسرع وسيلة ممكنة ..
ومرة أخرى ، راح عقلـه يراجـع جـداول وخطـوط الطيران ..

لا توجد أية وسيلة مباشرة ، للوصول إلى ( أمريكا الجنوبية ) قبل ( ديلشمسكى ) ..

ثم إن الأمور ستتعقد كثيرًا ، عندما يستعيد هذا الأخير وعيه ، ويبلغ رؤساءه ما حدث ، ويخبرهم أن ( أدهم صبرى ) ما زال فى قلب ( تل أبيب ) ..

عندئذ ستشتعل الأمور، وتندلع النيران بلا هوادة .. وبلا رحمة ..

الوسيلة الوحيدة إذن هى أن يغادر ( إسرائيل ) .. وبأقصى سرعة ممكنة ..

نعم .. لو وجد مقعدًا فى طائرة ( لندن ) التى ستقلع بعد ساعة واحدة ، فـ ..

توقف تفكيره بغتة ، عند هذه النقطة ، وشعر بقبضة باردة كالثلج ، تعتصر قلبه فى صدره ..

صحيح أنها الوسيلة الوحيدة ، ولكن ثمنها سيكون غاليًا للغاية ، بالنسبة له ..

إنه سيفقد فرصة ذهبية ، للتوصل إلى ابنه ..

ابنه الوحيد ..

وفى مرارة ، وبكل حزن الدنيا يعتصر قلبه ، أدرك ( أدهم ) أنه يقف أمام خيارين ، لا ثالث لهما ..

إما ابنه ..



أو وطنه ..

وكان الاختيار مؤلمًا ..

مؤلمًا إلى أقصى حد ..

* * *

تنحنح ( ماكارثى ) فى توتر ، وهو يمسح الدم ، الذى ما زال يسيل ، من موضع سنته المكسورة ، وقال فى عصبية ، وهو يواجه رئيسته :

ـ تلك المخادعة الحقيرة.. لقد استغلت الموقف، و ...

قاطعته رئيسته فى سخرية :

ـ يبدو أنها ليست الوحيدة ، التى تفعل هذا .

انعقد حاجباه فى مزيد من التوتر ، وهو يسألها فى عصبية :

ـ ماذا تعنين يا مسز ( فلورانس ) ؟!

اتسعت ابتسامة رئيسته الساخرة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى بطء ، قبل أن تجيب :

ـ فى المطار ، انتزع رجل المخابرات المصرى مسدسك من غمده ، وهنا فعلتها زميلته ، قبل أن تحطم أنفك وأسنانك.. قل لى يا عزيزى ( ماكارثى ) .. ألست تتفق معى فى أن سلاحك هذا صار لعبة ، فى يد كل من يصطدم بك .

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ مسز ( فلورانس ) .. لا تنس أننى رجل مخابرات سابق ، ولا يروق لى قط أن يسخر الآخرون منى .

لوّحت بكفها فى لا مبالاة ، قائلة :

ـ احرص على ألا يفعلوا إذن .

بدا عليه الغضب ، فنهضت من مقعدها ، ونفضت رماد سيجارتها فى هدوء ، متابعة :

ـ والآن أخبرنى يا رجل المخابرات السابق .. ما آخر أخبار قاعدة ( كوماتا ) ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ إنهم يستعدون للإطلاق .. العد التنازلى سيبدأ فى السادسة مساء الغد .

غمغمت :

ـ عظيم ..

ثم نفثت دخان سيجارتها فى عمق ، قبل أن تتابع فى مقت :

ـ سيلقن هذا المصريين درسًا قاسيًا ، حتى لا يسعوا مرة أخرى إلى التفوّق .. المفترض أن



يقنعوا بدور الكومبارس(*)، وألا يتطلّعوا إلى أدوار البطولة.

مطّ ( ماكارثى ) شفتيه ، وقال :

ـ إنه مجرّد قمر اتصالات .

أجابته فى حدة ، وهى تلقى سيجارتها فى عنف :

ـ بل هو بداية لاقتحامهم عصر الفضاء .

هزّ كتفيه ، وحاول أن يقول شيئًا ، إلا أن رنين هاتفها الخاص انطلق فى هذه اللحظة ، فالتقطت سمّاعته فى سرعة ، قائلة :

ـ ( كلارا فلورانس ) ..

ثم انعقد حاجباها ، وهى تستمع إلى محدّثها فى اهتمام بالغ ، وبدا من الواضح أن ما تسمعه لم يرق لها على الإطلاق ، فقد قالت فى عصبية :

---

(*) الكومبارس : ممثل صغير ، يؤدى بعض الأدوار ، التى لا تتطلّب موهبة تمثيلية كبيرة ، ويظهر فى كل الأفلام بلا استثناء ، من خلال الأدوار الهامشية ، أو المجاميع ، أو الأدوار الفرعية ، التى لا تزيد فى السيناريو على بعض الجمل البسيطة ، وفى الحالة الأخيرة يُطلق عليه اسم ( كومبارس متكلّم ) .

ـ أأنت واثق ؟!

ثم عادت تستمع مرة أخرى ، فى توتر بالغ ، قبل أن تقول فى نفس اللهجة العصبية :

ـ تابع الموقف ، وأبلغنى التطورات أولاً فأولاً .

وأنهت الاتصال فى حدة ، جعلت ( ماكارثى ) يسألها :

ـ ماذا هناك ؟!

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى عصبية :

ـ ( أميجوصاندو ) اتصل بمؤسسته ، وطلب إرسال طائرة خاصة على الفور ، لتحمله من مطار ( لندن ) ، الذى سيبلغه بعد ست ساعات .

قال ( ماكارثى ) فى دهشة :

ـ عجبًا ! لماذا لم ينتظر حتى يستقل طائرة (تى. دبليو. إيه) ، التى ستقلع صباح الغد من هناك ؟!

نفثت دخان سيجارتها ، قائلة :

ـ من الواضح أنه يرغب فى الحضور إلى هنا بأقصى سرعة .

وانعقد حاجباها ، وهى تضيف :

ـ أو فى الذهاب إلى مكان آخر .

ثم تراجعت فى مقعدها ، مستطردة فى عصبية :



ـ خاصة وأنه قد أجرى هذا الاتصال من ( إسرائيل ) .

هتف ( ماكارثى ) فى دهشة :

ـ من ( إسرائيل ) ؟! ولكنك قلت إنه ..

قاطعته فى حدة :

ـ من الواضح أننا كنا جميعًا مخطئين ، فى هذا الشأن .. إنه ما زال فى ( إسرائيل ) ، و ..

تألقت عيناها بغتة ، واتسعتا على نحو عجيب ، قبل أن تهتف :

ـ وطائرة ( لندن ) لم تقلع بعد .

قالتها ، واختطفت سماعة الهاتف فى لهفة ، جعلت ( ماكارثى ) يسألها :

ـ أتعنين أنه ما زال فى قلب ( إسرائيل ) ؟!

بدت له عيناها أشبه بعينى لبؤة مفترسة ، وهى تجيب :

ـ المهم إن يبقى هناك إلى الأبد .

وألقت نظرة سريعة على عقربى ساعتها ، وهى تطلب رقمًا عبر المحيط ، وغمغمت فى توتر بالغ :

ـ اثنتى عشرة دقيقة .. طائرة ( لندن ) ستقلع بعد اثنتى عشرة دقيقة .. ما زالت الأمور فى قبضتنا ، لو تحركوا هناك بالسرعة اللازمة .

ومع آخر حروف كلماتها ، سمعت صوت محدثها ، على الطرف الآخر للخط ، فهتفت :

- ( رون ) .. اسمعنى جيدًا .. إنه أنا .. لدى معلومات مؤكدة ، بأن (أدهم صبرى) ما زال فى قلب (إسرائيل) .. نعم .. أنا واثقة من هذا تمامًا .. لا تقاطعنى يا (رون) ، واسمعنى جيدًا ، فلابد أن تتحركوا بأقصى سرعة .. أمامكم إحدى عشرة دقيقة فحسب، وتفقدونه تمامًا ..

وخلال نصف دقيقة فحسب ، كانت قد نقلت كل ما لديها إلى ( رون بنيامين ) ، رئيس قسم الجاسوسية الداخلية ( شين بيت ) ، فى ( إسرائيل ) ..

وكان تقديرها واختيارها سليمين للغاية ..

فما إن وضع ( رون ) سماعة الهاتف ، حتى انطلق على الفور ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، إلى مطار ( تل أبيب ) ..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكى الخاص به ، بدأ طاقم الأمن فى المطار إجراءاته على الفور ، للإيقاع بأخطر عدو لـ ( إسرائيل ) ، فى العالم كله ..

بالرجل ..

رجل المستحيل !.

* * *



## ٤- إجراءات أمن ..

« ( قدرى ) !! .. »

هتفت ( منى ) بالاسم ، فى سعادة غامرة ، وهى تندفع نحو ( قدرى ) ، الذى وقف بباب حجرتها فى المستشفى ، حاملاً ابتسامته الطفولية ، التى تشف عن فرحة طبيعية تلقائية، وهو يصافحها فى حرارة ، قائلاً :

- أعلم أنك تستعدين لمغادرة المستشفى الآن ، ولكننى لم أستطع مقاومة رغبتى فى رؤيتك يا جميلتى .

ضحكت ، قائلة :

- من الواضح أن مغامرتك العنيفة فى (إسرائيل) ، لم تفلح فى تغييرك(*) .

أشار إلى الكدمات التى تملأ وجهه ، وهو يقول مبتسمًا :

---

(*) راجع قصة ( الأصابع الذهبية ) .. المغامرة رقم (١٢٢) .

- لقد بذلوا قصارى جهدهم هناك ، ولكنهم عجزوا عن إعادة برمجتى .

ربّتت على كتفه فى حنان ، وهى تقول :

- الأصالة يصعب إفسادها .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

- حمدًا للّه على سلامتك .

غمغم فى حنان وتأثُّر واضحين :

- حمدًا للّه على سلامتك أيضًا .

كان من الواضح أن طبيعته المرهفة تقاوم رغبته فى البكاء ، فقد أشاح بوجهه ، ليخفى دمعة ترقرقت فى عينيه ، وهو يقول :

- هل يمكننى الجلوس قليلاً ، أم أنك تتعجلين الرحيل ؟!

أجابته فى حماس :

- تفضّل .. إننى لم أعدّ حقيبتى بعد .

جلس على الأريكة الكبيرة ، التى تكفى جسده الضخم ، وهو يقول :

- هل من أخبار جديدة عن ( أدهم ) ؟!



شعرت بجسدها ينتفض ، عند سماع اسمه ، وتمتمت فى توتر :

- المفترض أن ألقى عليك أنا هذا السؤال .

تنهّد ، قائلاً :

- ما فعله ( أدهم ) من أجلى ، لن يمكننى نسيانه قط ، ولكن منذ مغادرتى ( تل أبيب ) ، لم أسمع شيئًا عنه قط .

جلست على المقعد المجاور له ، قائلة فى أسى :

- إنه لم يعد بعد ، ولست أدرى لماذا ؟!

أجابها متعاطفًا :

- ( أدهم ) لديه أسبابه .

غمغمت :

- دائمًا لديه أسبابه .

وقاومت بدورها دمعة تجاهد للإفلات من عينيها ، وهى تضيف :

- التى نجهل معظمها .

تطلّع إليها ( قدرى ) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

- كلنا نعلم أن ( أدهم ) ليس شخصًا عاديًا ، ولم

تتح له قط فرصة العيش كفرد عادى فى المجتمع ، فمنذ حداثته ، تولى والده تدريبه ، حتى يصبح أفضل رجل مخابرات عرفه التاريخ ، ومن المؤكد أن هذا قد حرمه من الكثير ، مما يتمتع به الصبية والشباب .

سألته فى دهشة :

- هل تشعر بالشفقة من أجله ؟!

تنهَّد ، مجيبًا :

- بالتأكيد .. كثيرًا ما أشعر بالشفقة والتعاطف تجاهه ، على الرغم من كل ما يتمتَّع به من قدرات ومهارات .. ربما اعتاد حياته هذه ، الحافلة بالنشاط والحركة ، والتى تحمل طنًا من الخطر ، مع كل خطوة يخطوها ، ولكن اعتياده هذا لا ينفى أنه يفتقد الكثير من متع الحياة الطبيعية، التى يتمتَّع بها عامة الناس.

قالت فى أسف :

- مثلنا لا يمكن أن يحيا ، مثلما يفعل عامة الناس.

هزَّ رأسه ، قائلا :

- للأسف .

انبعث صوت يقول بغتة :

- ولماذا الأسف ؟!



التفت الاثنان فى دهشة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهما على امرأة ، فى أوائل الثلاثينات من عمرها، لم تنجح الكدمات الواضحة ، حول عينيها وفكها ، من إخفاء جمالها ، أو أنوثتها الطاغية ، وهى تكمل بابتسامة لم ترق أبدًا لـ ( منى ) :

- إننى أعشق هذا النوع من الحياة .

قال ( قدرى ) فى توتر :

- سيدتى .. تدخلك هذا يعدَ ..

قاطعته فى شىء من السخرية :

- من سوء اللياقة .. أليس كذلك ؟!

ثم أطلقت ضحكة قصيرة ، استفزَّت مشاعره أكثر ، فى حين قالت ( منى ) ، وهى تتطلَّع إليها فى حذر :

- هل تعملين معنا ؟!

أشارت القادمة بسبَّابتها ، قائلة :

- إننى أعمل لحساب المخابرات المصرية ، قبل سنوات من التحاقك بها يا عزيزتى ( منى ) ، ولقد شاركت فى إعادتك إلى (القاهرة) يا عزيزى (قدرى) ، ولكن أحدنا لم يلتق بالآخر قط ، نظرًا لطبيعة عملى الخاصة جدًّا .

غمغم ( قدرى ) فى دهشة :

ـ شاركت فى إعادتى إلى ( القاهرة ) ؟! هل تعنين أنك كنت فى ..

قاطعته مكملةً :

ـ فى ( إسرائيل ) .. نعم يا عزيزى ( قدرى ) .. كنت فى ( إسرائيل ) ، عندما كانوا يحتجزونك هناك ، ولكن الطريف ، والذى ربما يباغتكما معًا ، هو أننى لم أذهب إليها لاستعادتك ، وإنما كنت أقيم فيها لسنوات طوال .

ثم مدَّت يدها إليهما ، وهى تدلف إلى الحجرة ، قائلة :

ـ دعانى أقدِّم نفسى .. فى ( إسرائيل ) كنت أحمل اسم ( راشيل ) .. ( راشيل فريمان ) ، أما الآن ، وبعد أن عدت إلى موطنى ، صار من حقى أن أستعيد اسمى الأصلى .. ( نادية ) .. ( نادية سيف الدين ) .

صافحها ( قدرى ) مبهورًا ، وهو يتمتم :

ـ اسم جميل كصاحبته .

أما ( منى ) ، فقد سألتها فى تحفُّظ :

ـ تشرَّفنا يا سيِّدة ( نادية ) ، ولكننى مازلت أتساءل عن سر زيارتك لى فى المستشفى .



تطلَّعت إليها ( نادية ) بضع لحظات فى صمت ، وارتسمت على طرف شفتيها ابتسامة لم ترق أيضًا لـ ( منى ) ، وهى تتفحَّصها جيِّدًا ، بنظرة تدركها كل أنثى فى الأرض ، قبل أن تقول :

ـ أخبرونى أنك أقرب الناس إلى ( أدهم صبرى ) .

ثم قفزت نظرة متحدية إلى عينيها ، وهى تكمل :

ـ وأنا أرغب فى معرفة الكثير عنه .

خفق قلب ( منى ) فى قوة ، وانتفض لحظة بين ضلوعها ، وهى تردِّد :

ـ ترغبين فى ماذا ؟!

جلست ( نادية ) إلى جوار ( قدرى) ، وهى تقول :

ـ أريد معرفة كيف يفكِّر ؟! ما الذى يحبه أو يكرهه ؟! من أخطر أعدائه ؟! و ..

قاطعتها ( منى ) فى عصبيةً :

ـ ولماذا ترغبين فى معرفةَ كل هذا ؟!

رمقتها ( نادية ) بنفس النظرة المتحدية ، وهى تجيب :

ـ من الطبيعى أن أسعى لمعرفة كل شىء ، عن الرجل الذى سأرتبط به .

اتسعت عينا (قدرى ) ، وهو يحدّق فيها بذهول ، فى حين انتفض جسد ( منى ) كله فى عنف ، وكأنما أصابتها ألف صاعقة ، وهى تهتف :

ـ ترتبطين به .

أشارت ( نادية ) بسبَابتها ، وهى تقول فى خبث :

ـ لبعض الوقت فحسب .

ثم تراجعت ، لتسند ظهرها إلى الأريكة فى استرخاء ، مكملة فى سخرية خبيثة :

ـ أعنى من خلال العمل الرسمى .

شعر ( قدرى ) بالكثير من القلق ، وهو ينقل بصره ، بينها وبين ( منى ) ، التى بدت شاحبة ممتقعة ، وهى تقول ، بصوت أقرب إلى الهمس :

ـ إلام تلمحين بالضبط ؟!

اتسعت ابتسامة ( نادية ) ، وبدت كامرأة نجحت فى بلوغ هدف أنثوى خبيث ، وهى تقول :

ـ آه .. نسيت أن أخبركما أننى ، وبعد عودتى من ( إسرائيل ) ، قد تسلّمت عملى فى الجهاز ، الذى أسند إلىّ مهمة جديدة ، مع بطلكم ( أدهم صبرى ) ، نظرًا لخبرتى فى مجال المعلومات والأمن الإسرائيلى.



سألتها ( منى ) ، بصوت بلغ شحوبه منتهاه :

ـ مهمةً جديدة ؟! هل بدأ ( أدهم ) مهمة جديدة ؟!

بدت ابتسامة ( نادية ) ظافرة ، وهى تقول :

ـ لقد أرسل برقية شفرية عاجلة ، من قلب (إسرائيل) ، أبلغ فيها القيادة بأمور بالغة الخطورة ، وأخبرهم أنه فى طريقه للقيام بمحاولة لإفساد خطة إسرائيلية ، مما دعا القيادة إلى تكليفى مهمة اللحاق به هناك :

وتنهَّدت ، مضيفة فى خبث :

ـ أى أننى سأعمل إلى جواره مرةً أخرى .

تضاعف قلق ( قدرى) ، وهو يتطلَّع إلى ( منى) ، التى تجمَّدت مشاعرها كلها ، فى وجهها الشاحب الممتقع ، وهى تتطلّع بدورها إلى ( نادية ) ..

ها هى ذى منافسة جديدة تقتحم الساحة ..

منافسةً تتفجَّر بالجمال والأنوثة ..

وبالإصرار على النصر ..

مهما كان الثمن ..

وهذا يعنى أن المنافسة قوية ، و ...

وفجأة ، قفزت إلى ذهنها كلمات ( جيهان ) ..

« كل ما ينقصك يا ( منى ) هو الثقة .. الثقة فى أن ( أدهم ) لم ولن يحب سواك .. » .

« كل ما ينقصك هو الثقة .. »

« الثقة .. »

وارتفع حاجبا ( قدرى ) ، فى دهشة بالغة ، عندما عاد وجه ( منى ) يتورَّد فى هدوء ، واستعادت عيناها بريقهما ، وارتسمت ابتسامة واثقة ظافرة على شفتيها ، وهى تقول فى برود ، عاقدة ساعديها أمام صدرها :

ـ ستجدين العمل إلى جواره ممتعًا بحق .. أنا خبيرة فى هذا المضمار .

انعقد حاجبا ( نادية ) ، وهى تقول فى شىء من التوتر :

ـ حقًّا ؟!

اتسعت ابتسامة ( منى ) ، وهى تجيب :

ـ بالطبع .. من المؤكد أن هذا ما أخبروك به ، وما دعاك إلى الحضور إلى هنا ، قبل سفرك إليه .. لقد أردت الحصول على شىء من خبراتى فى العمل معه .. أليس كذلك ؟!



نهضت ( نادية ) بحركة حادة ، وهى تقول :

ـ لا داعى لهذا .. كل شىء يتطوَّر ، والمرء يميل بطبعه إلى الأحدث .

ثم أضافت فى خبث :

ـ هذه سمة الرجال على الأقل .

أجابتها ( منى ) ، فى هدوء واثق :

ـ ليس فى كل الأحوال .

تألَّقت عينا ( قدرى ) هذه المرة ، مع النظرة المتحدية الصامتة ، التى تبادلتها المرأتان ، والتى بدت ( منى ) خلالها شديدة الوثوق من موقفها ، حتى إن ( نادية ) قالت فى حزم عنيد :

ـ سنرى .

أجابتها ( منى ) فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

استدارت ( نادية ) فى حركة حادة ، واندفعت نحو الباب، دون أن تلقى عليهما التحية ، فنادتها ( منى) فى هدوء :

ـ ( نادية ) .

التفتت إليها ( نادية ) فى حنق ، فتابعت بابتسامة كبيرة :

ـ عندما تلتقين بـ ( أدهم ) ، أبلغيه تحياتى ، وأخبريه بأننى سأنتظر عودته سالمًا ، بإذن اللّٰه ( سبحانه وتعالى ) ، على أحر من الجمر .

مطّت ( نادية ) شفتيها ، واندفعت تغادر المكان دون تعليق ، فقفز ( قدرى ) من مجلسه ، وهتف فى حماس :

ـ رائع يا ( منى) .. لقد تعاملت معها كما ينبغى .. منتهى القوة والحزم ، والثقة .. مرحى .. هذه هى ( منى ) التى أعرفها .

تنهّدت ، قائلة :

ـ لا تجعل هذا يخدعك يا صديقى .. إننى فى الواقع أشعر بقلق بالغ .

سألها فى دهشة :

ـ لماذا ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

ـ لأن تلك الوقحة كانت على حق فى بعض ما قالته .



ثم شردت عيناها ، وهى تضيف :

ـ كل شىء يتغيّر .

ولم يعترض ( قدرى ) هذه المرة ..

لقد كانت على حق ..

كل شىء يتغيّر ..

بلا استثناء ..

وبتداع يصعب وصفه، قفز به هذا إلى سؤال تال..

ترى هل سينجح ( أدهم ) فى الخروج من ( إسرائيل ) سالمًا ؟!

وما طبيعة تلك المهمة ، التى ستشاركه إياها ( نادية ) ؟!

ترددّت عشرات الأسئلة الأخرى فى رأسه ، دون أن يتصوّر لحظة واحدة ، أن ( أدهم صبرى ) كان يستعد بالفعل لمغادرة ( إسرائيل ) ..

ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل أبدًا ..

لقد كان يواجه الخطر هناك ..

كل الخطر ..

* * *

راجع قائد طائرة ( لندن ) ، التى تستعد للإقلاع ،

من مطار ( تل أبيب ) ، مؤشرات وعدادات الطائرة ، وهو يقول لمساعده :

ـ كل شيء على ما يرام .. سنقلع في موعدنا كالمعتاد .

غمغم مساعده ، في شيء من عدم الارتياح :

ـ البرج لم يمنحنا إذن الإقلاع بعد .

التفت إليه الطيَّار في دهشة ، قائلاً :

ـ لماذا ؟!

هزَّ مساعده رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. لقد طلبت الإذن مرتين ، ولكنهم تجاهلوا هذا تمامًا ، ثم إن رجال الأمن يتحركون في توتر ملحوظ ، في هذه المنطقة بالتحديد ، ولو استمرَّ الوضع على هذا المنوال ، ستقلع طائرة ( قبرص ) قبلنا .

انعقد حاجبا الطيَّار ، وهو يقول :

ـ عجبًا .. هذه أوَّل مرة يحدث فيها هذا ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع صوت صارم ، عبر جهاز الاتصال ، يقول :

ـ من برج المراقبة إلى طائرة ( لندن ) .. لقد



تأجَّل موعد إقلاعكم .. افتحوا أبواب الطائرة ، واستعدوا لتفتيش كامل .

هتف الطيَّار في انزعاج :

ـ تفتيش ماذا ؟! ما الذي حدث بالضبط ؟! هل أبلغ أحد بوجود قنبلة مثلاً ؟!

أجابه صاحب الصوت الصارم :

ـ كلا .. إنها مجرَّد إجراءات أمن .

هتف الطيَّار في حنق :

ـ إجراءات أمن ؟! أي قول مطاطي هـ ..

انتهى الاتصال بغتة ، قبل أن يتمَّ عبارته ، فصاح في غضب :

ـ يا للسخافة !

سأله مساعده في توتر :

ـ ماذا سنفعل ؟!

أجابه في حدة :

ـ يا له من سؤال ! سنفعل ما تقتضيه القوانين والأعراف ، في كل مطارات العالم.. سنطيعهم تمامًا .

ولم تكد أبواب الطائرة تنفتح ، حتى اندفع إليها رجال أمن المطار ، ورجال ( شين بيت ) ، حاملين

أسلحتهم ومدافعهم الآلية ، على نحو أثار ذعر الركاب ورعبهم ، فانطلقت صرخاتهم تشق المكان ، حتى برز ( رون بنيامين ) بنفسه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اهدءوا .. إنها مجرَّد إجراءات أمن.. لن يصيبكم أدنى ضرر ، لو ظلَّ كل منكم فى موضعه .

عاد الجميع إلى مقاعدهم مذعورين ، واتسعت عيونهم فى هلع ، و ( بنيامين ) ورجاله يتحرَّكون داخل الطائرة ، ويتفرَّسون ملامح الجميع فى صرامة وتحفُّز ..

وبصرامته وخشونته ، قال ( بنيامين ) :

ـ أوَّل من سيتحرَّك منكم سيطلق رجالى النار عليه دون إنذار ، فالرجل الذى نبحث عنه أشبه بالحرباء يستطيع انتحال أية شخصية بدقة مذهلة .. سنستثنى النساء والأطفال والصبية ، أما الباقون ، فعليهم إبراز أوراقهم ، والخضوع للتفتيش ، دون أدنى اعتراض أو مقاومة .. إنها إجراءات أمن أساسية ، تتعلَّق بأمن دولة ( إسرائيل) .. لا استثناءات .. لا تهاون .. ولا رحمة .. أتعشَّم أن تكونوا قد استوعبتم الأمر .

كانت الوجوه كلها شاحبة ممتقعة ..



والأفواه مكممة مكتومة ..

والجميع يطيع الأوامر بلا مناقشة ..

بل ودون حرف واحد ..

كل رجال ( بنيامين ) كانوا متحفزين للغاية ، ومستعدين لإطلاق النار بلا تردُّد ، عند أية بادرة للشك ..

أما ( بنيامين ) نفسه ، فقد وقف عند مدخل الطائرة ، معقود الحاجبين ، صارم الملامح ، ملتهب النظرات ، ينتظر ويتوقَّع أن ينكشف أمر ( أدهم ) فى أية لحظة ..

وأن يندلع القتال بغتةً ..

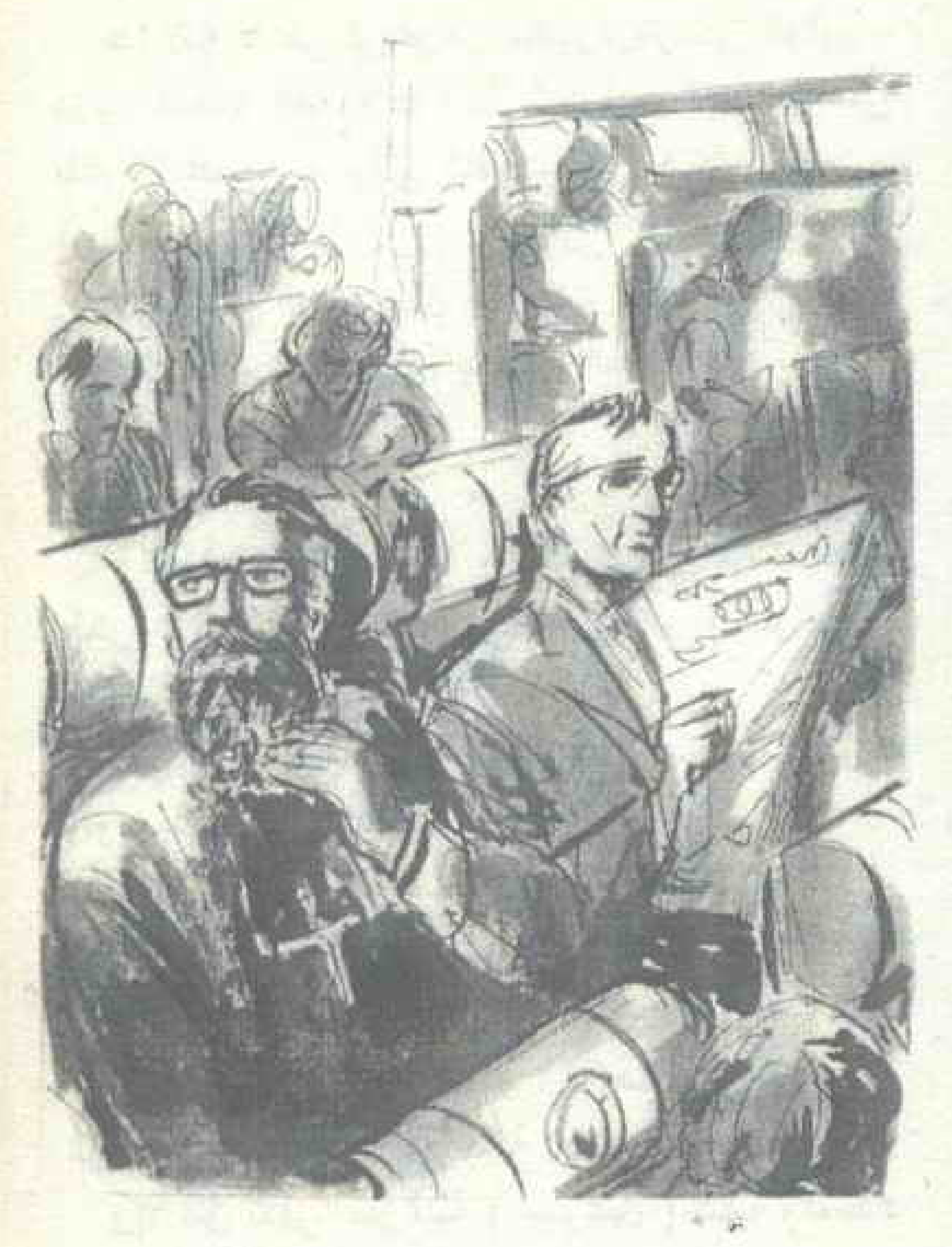
وبمنتهى العنف ..

وفى كابينة القيادة ، مطَّ الطيَّار شفتيه ، وأشار بيده ، قائلاً فى حنق :

ـ لأوَّل مرة ، منذ التحقت بهذا العمل ، تقلع طائرة ( قبرص ) قبل طائرتنا .

تابع مساعده الطائرة القبرصية ، وهى ترتفع عن ممر الإقلاع ، وسط ظلام الليل ، وتمتم :

ـ لن يصنع هذا فارقًا كبيرًا .



فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان قساً من ركاب طائرة ( قبرص ) يتطلع عبر نافذتها ..

قال الطيَّار فى غضب :

ـ إنها مسألة مبدأ .

فى نفس اللحظةَ ، التى نطق فيها عبارته ، كان قسًا من ركاب طائرة ( قبرص ) يتطلَّع عبر نافذتها ، وهى ترتفع فى السماء ، ويسأل الجالس إلى جواره :

ـ عجبًا ! .. لقد أقلعنا قبل طائرة ( لندن ) .. المفترض ، طبقًا لجدول الإقلاع أن تسبقنا بربع ساعة كاملة .

أجابه جاره ، وهو منشغل بمطالعة جريدة مسائية :

ـ سمعت أن طائرة ( لندن ) يتم تفتيشها .. إنها تلك الإجراءات الأمنية الإسرائيلية السخيفة .. أنت تعرف الإسرائيليين .. إنهم يدورون طوال الوقت فى بوتقة اسمها الأمن .

هزَّ القسّ رأسه فى وقار ، وداعب لحيته الكثَّة ، قبل أن يقول :

ـ هداهم اللّه إلى ما فيه الخير يا ولدى .

قالها ، واسترخى فى مقعده ، وعاد يداعب لحيته مرة أخرى ..

أو بمعنى أدق ، عاد يثبت لحيته فى موضعها ..

هذا لأنه ، على الرغم من مظهره الرصين الوقور ، وزيه المميَّز المعروف ، لم يكن ذلك الجالس فى طائرة ( قبرص ) ، التى انطلقت فى رحلتها بالفعل ، قسًّا حقيقيًّا ..

بل كان فى الواقع رجل مخابرات ..

رجل مخابرات مصرى يدعى ( أدهم ) ..

( أدهم صبرى ) ..

★ ★ ★

« لقد احتاط للأمر جيدًا ، فأبلغ الجميع أنه سيستقلّ طائرة ( لندن ) ، ثم خدعنا كلنا ، وغادر ( إسرائيل ) فى طائرة ( قبرص ) .. »

نطق ( رون بنيامين ) العبارة فى غضب هادر ، ولوَّح بذراعه فى عنف ، مستطردًا :

ـ كان ينبغى أن نوقف إقلاع كل الطائرات .

انعقد حاجبا ( ديلشمسكى ) ، وبدا صوته غاضبًا محنقًا ، وهو يقول :

ـ إنه يعلم أن هذا مستحيل ! لا يمكنك أن توقف كل الرحلات الجوية ، إلا فى حالة اندلاع الحرب ، وإلا فلن تكفى ميزانية ( إسرائيل ) كلها ، لسداد تعويضات التأخير .



وعضّ شفته فى غيظ ، مستطردًا :

ـ لقد أحسن اللعبةَ كالمعتاد .

قال مدير ( الموساد ) الجديد فى صرامة :

ـ هل ستكتفون بالبكاء على اللبن المسكوب ، أم أنه هناك خطوات عملية ينبغى اتخاذها ؟!

قال ( ديلشمسكى ) فى عصبية :

ـ إننى لم أحضر ( أدهم صبرى ) إلى هنا ، ولم أكن فى البلاد ، عندما فعل بالجميع ما فعل .

قال المدير فى حدة :

ـ وهل نسيت أن الأسرار ، التى تساقطت من بين شفتيك ، هى التى تهدِّد أخطر عملياتنا الآن بالفشل ؟!

لوَّح ( ديلشمسكى ) بذراعه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لقد تصوَّرت أننى أتحدَّث إلى زميل .

صاح المدير فى غضب :

ـ وحديثك هذا أفسد كل شىء .

انعقد حاجبا ( ديلشمسكى ) فى شدة ، وهو يقول فى حزم :

ـ لم يفسد أى شىء بعد .

قال المدير فى حدة :



٧٠١ ... ١٢٥ ( عملية النيل )

ـ ( أدهم صبرى ) يعلم الآن أننا نستهدف قمرهم الصناعى ، وهذا يعنى أن المخابرات المصرية قد أدركت الأمر ، وأراهنك على أنه سينطلق على الفور إلى ....

قاطعه ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

ـ إلى أين ؟!

تطلّع إليه المدير فى تساؤل غاضب ، فتابع فى حزم صارم :

ـ هذا ما أريد قوله بالضبط .. صحيح أن المخابرات المصرية تعلم أننا نسعى خلف نيلهم الفضائى ، إلا أن المعلومات التى لديهم بهذا الشأن محدودة للغاية .. كل ما يعلمونه هو ما أخبرت به رجلهم بالفعل .. أنه لدينا قاعدة صواريخ سرية ، فى مكان ما من ( أمريكا الجنوبية ) ، وأننا سننسف قمرهم ، من تلك القاعدة ، ولكن أين القاعدة ، ومتى سنضرب ضربتنا ، وكيف .. كل هذا يجهلونه تماما ، وعليهم أن يسعوا لمعرفته ، وهذا السعى يحتاج إلى بعض الوقت .

ثم فرقع سبابته وإبهامه ، مضيفا فى انفعال :



ـ وهذا ما يفتقرون إليه تماما .

انعقد حاجبا مدير ( الموساد ) ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويتطلع إليه فى اهتمام ، فى حين راح هو يتابع بنفس الانفعال :

ـ الساعة الآن الرابعة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وساعة الصفر . التى حدّدها الخبراء ، هى السادسة والربع من مساء الغد ، بنفس التوقيت ، وهذا يعنى أن ما تبقى من الوقت ، هو ست وعشرون ساعة وربع فحسب ، ولو أراد المصريون أن يوقفوا صاروخنا ، فعليهم أن يحصلوا على كل المعلومات المطلوبة ، ثم يتوصّلوا إلى موقع الإطلاق ، ويفلحوا فى إتلاف الصاروخ ، أو منع انطلاقه ، خلال هذه الفترة فحسب .

ثم استدار إلى المدير ، وقال فى حزم :

ـ هل تعتقد أنه لو كنا نحن فى موقفهم ، بكل خبراتنا وبراعتنا ، ولدينا هذا القدر الضئيل من المعلومات ، وذلك الوقت الأكثر ضآلة ، هل كنا سنفلح فى منعهم .

تألقت عينا المدير ، وهو يقول :

- مستحيل !

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى توتر :

- ولكن ( أدهم صبرى ) فى طريقه إلى هناك بالفعل ، ولا يمكننا أن نشعر بالأمان ، ما دام قد دس أنفه فى الأمر .

أشعل ( ديلشمسكى ) سيجارته ، وهو يقول :

- ( أدهم ) لم يصل إلى الهدف بعد .

سأله ( بنيامين ) فى لهفة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حزم :

- أعنى أننا مازلنا نمتلك نقطة تفوق إذ يمكننى ، بوساطة طائرة نفاثة خاصة ، تنطلق بى مباشرة إلى الموقع ، أن أصل إليه ، قبل أن يفلح ( أدهم ) فى هذا .

هتف المدير فى حماس :

- بالطبع .

تابع ( ديلشمسكى ) فى سرعة :

- ليس هذا فحسب ، ولكننا نستطيع أن نشغل ( أدهم ) هذا بصراع جانبى ، يبقيه على الجانب الآخر للمحيط ، حتى ننسف قمرهم نسفًا .



سأله المدير :

- وكيف هذا يا ( يارون ) ؟!

نفث ( ديلشمسكى ) دخان سيجارته ، مجيبًا :

- لقد اتصل بشركته ، يطلب إرسال طائرة خاصة إلى ( لندن ) ، وهذا يعنى أنه ، إما أن يستقل طائرة ، من ( قبرص ) إلى ( لندن ) ، ليلحق بطائرته الخاصة هناك ، أو أن يعدل أوامره ، لتأتى إليه طائرته الخاصة فى ( قبرص ) .

قال المدير فى حزم :

- يمكنك أن تلغى الاحتمال الثانى تمامًا ؛ لأنه سيضيع أربع ساعات إضافية بهذا الإجراء ، وهو بحاجة إلى كل ثانية .

ألقى ( ديلشمسكى ) نظرة على ساعته ، قائلاً :

- عظيم .. طبقًا لساعتى ، ستهبط طائرته فى ( قبرص ) ، بعد اثنتى عشرة دقيقة ، ويمكنه أن يستقل طائرة (لندن) ، بعد ساعة واحدة من وصوله .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى حزم :

- وهذه الساعة ستكفينا تمامًا ، لنجعل ( قبرص ) محطته الأخيرة .

قالها ، ونفث دخان سيجارته فى قوة أكبر ، فتألقت عينا المدير ، وهو يقول :

ـ أو سنمنعه من اللحاق بعمليتنا على الأقل .

ابتسم ( ديلشمسكى ) ، قائلاً :

ـ بالضبط .

وهنا ، ابتسم ( بنيامين ) فى ظفر ، وانتقلت عدوى ابتسامته إلى ( ديلشمسكى ) والمدير ، فى لحظة واحدة ..

فلقد أدرك الثلاثة أنهم قد وضعوا ( أدهم صبرى ) فى خانة صعبة للغاية ..

خانة لا سبيل للخروج منها سوى بالفشل ..

أو الموت .

* * *





# ٥ ـ الضربة القبرصية ..

دقت عقارب الساعة ، معلنة تمام الحادية عشرة والنصف ، عندما دلف مدير المخابرات العامة المصرية إلى قاعة الاجتماعات الصغرى ، فى مبنى الأمن القومى بالجهاز ، وأشار بيده لمجموعة علماء الفضاء الذين التفوا حول مائدة الاجتماعات ، قائلاً :

ـ معذرة للتأخير أيها السادة ، ولكن كان ينبغى أن نحصر كل ما لدينا من معلومات ، قبل أن نجتمع معًا .

ابتسم أحد العلماء ، قائلاً :

ـ إنه ليس تأخيرًا يا سيادة المدير .. إنها عشر دقائق فحسب .

أجابه المدير ، وهو يحتل مقعده ، على رأس مائدة الاجتماعات :

ـ فى عملنا لكل دقيقة ثمنها .

هتف عالم آخر فى حماس :

ـ سنتحول إلى دولة عظمى ، لو فكر كل منا بهذا الأسلوب .

غمغم المدير :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل ، مستطردًا بصوته القوى :

ـ ولكن هذا ليس موضوعنا الآن أيها السادة ، فالواقع أننا لم نطلب استدعاءكم على وجه السرعة ، فى هذه الساعة المتأخرة ، إلا لأنه لدينا أمر يحتاج إلى مشورتكم وعلمكم بشدة .

قال الجميع فى حماس :

ـ وكلنا رهن إشارة الوطن .

قال المدير فى حزم :

ـ وهذا ما يتوقعه الوطن منكم يا سادة .

ثم تنهّد ، وشدَ قامته ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ الواقع أيها السادة أنه هناك مؤامرة ؛ للنيل من قمرنا الصناعى ( نايل سات ) .

اتسعت عيونهم فى دهشة وارتياع ، وسرت بينهم همهمة عصبية ، قبل أن يقول أحدهم فى غضب :

ـ وهذه المؤامرة إسرائيلية بالطبع.. أليس كذلك ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، ثم قال فى حزم ، قبل أن يسرى التوتر والغضب بينهم مرة أخرى :



ـ ولكن دعونا لا نضيع الوقت فى تقييم موقفهم منا ، ولنتعاون جميعًا ؛ لإفساد مؤامرتهم .

هتف عالم من علماء الفضاء فى حماس حقيقى :

ـ حياتنا فداء للوطن .

أجابه المدير :

ـ الوطن يحتاج اليوم إلى عقولكم وعلمكم فحسب .

ثم نهض إلى خريطة العالم ، التى تحتل الحائط خلفه بأكمله ، وهو يتابع :

ـ ما لدينا من معلومات ، يؤكد أن الإسرائيليين سيستخدمون صاروخًا ، يتمّ إطلاقه من مكان ما ، فى ( أمريكا الجنوبية ) ، بحيث ينسف قمرنا فى مداره ، وأن هذا سيتم فى مساء الغد أو بعد الغد على الأرجح ، ثم إن موقع الإطلاق يقع فى منطقة بعيدة عن ( بوليفيا ) ، والعملية برمتها ستتكلف عشرة ملايين دولار .

وتنهّد ، قبل أن يضيف :

ـ وهذا ، للأسف ، كل ما لدينا من معلومات .

قالها ، فسيطر الصمت على المكان بعض الوقت ، قبل أن يقطعه أحد العلماء مغمغمًا فى توتر :

- أتسمى هذه معلومات يا سيادة المدير ؟!

أجابه المدير فى ثقة :

- بالتأكيد ، وخاصة مع فريق من علماء الفضاء والاتصالات مثلكم ، فأنتم تعرفون مدار ( نايل سات ) بالتحديد ، وتعلمون أين سيكون مساء الغد ، أو بعد الغد ، وبقليل من الدراسة ، يمكنكم تحديد الموضع المناسب ، لإطلاق صاروخ عليه ، من قلب ( أمريكا الجنوبية ) .

قال عالم آخر :

- ولكن ( أمريكا الجنوبية ) قارة كاملة .

أجابه المدير فى حسم :

- إلا إذا استثنينا منها الأماكن القريبة من (بوليفيا)، والأماكن التى يستحيل إطلاق الصاروخ منها .

قال ثالث :

- هذا لو عرفنا نوع الصاروخ ، ووسيلة إطلاقه .

أشار المدير بسبابته ، مجيبًا :

- إنه صاروخ يحتاج إلى قاعدة إطلاق كاملة ، ويبلغ ثمنه ، مع تكلفة بناء القاعدة ، وكل ما يحيط بها من سرية ، عشرة ملايين دولار .



تبادل العلماء نظرة دهشة وانبهار ، قبل أن يقول أحدهم :

- هل تعلم يا سيادة المدير .. أسلوب تفكيركم هنا يتبع المنهج العلمى بدقة وبراعة مدهشتين !! إنكم تجمعون عشرات المعلومات البسيطة ، ثم تصنعون منها معلومة بالغة الأهمية والخطورة .

أشار المدير بيده ، قائلاً :

- بالضبط .. وها هى ذى معلوماتنا البسيطة بين أيديكم .. أضيفوا إليها علومكم الغزيرة ، ومعارفكم الواسعة ، واخرجوا لنا بأجوبة علمية واثقة ، لكل ما نسعى إلى معرفته.. نريد إجابات لأسئلة محدودة.. ما نوع الصاروخ ، الذى سيستخدمه الإسرائيليون ، لإسقاط قمرنا ؟! ما أفضل موقع لإطلاقه ، فى ( أمريكا الجنوبية ) ؟! ومتى ؟! نريد هذه الإجابات ، فى أسرع وقت ممكن .

سأله أحد العلماء فى اهتمام :

- ألديكم جدول زمنى خاص ؟!

أجابه المدير فى حزم :

- فى أسرع وقت ممكن يا سيدى .

كان الجواب حاسمًا باترًا ..
والموقف شديد الوضوح ..
وشديد الخطورة ..
إلى حده الأقصى ..

* * *

ألقى ( رون سبيلمان ) ، رجل ( الموساد ) فى ( قبرص ) نظرة هادئة على ساعته ، وهو يجلس مسترخيًا فى سيارته ، أمام مطار ( ليماسول ) ، وراحت أصابعه تضرب أزرار جهاز الكمبيوتر النقال ، الذى يضعه على ركبتيه ، وهو يقول للرجال الثلاثة ضخام الجثة ، الذين يجلسون فى السيارة نفسها :

ـ خمس دقائق ، وتهبط الطائرة القادمة من ( تل أبيب ) ، ونلتقى أخيرًا بذلك المصرى الأسطورة ، الذى يتحدَّث عنه الجميع فى انبهار عصبى .

غمغم أحد الرجال الثلاثة ، فى شىء من الحذر :

ـ يقولون إنه أثار جنون الجميع فى ( تل أبيب ) ، حتى رئيس الوزراء نفسه ، دون أن ينجحوا فى إلقاء القبض عليه .

وقال آخر فى سرعة ، وكأنما يخشى أن تفوته فرصة التحدّث :



ـ لقد أخرج أسيرًا من البيت الكبير .

مطّ ( سبيلمان ) شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ أمر طبيعى ، فالكل هناك حمقى ، يرفلون فى الترف ، إلى الحد الذى أنساهم القدرة على القتال .

ثم عاد يضرب أزرار الكمبيوتر ، قبل أن يلوّح بيده ، مستطردًا :

ـ هل تعلمون .. لو سألكم أحدهم عن أعظم اختراعات القرن العشرين ، فهى شبكة ( الانترنت ) بلا منازع .. لقد جعلت العالم كله فى متناول أيدينا ، فعبرها نتلقَّى كل الأوامر العاجلة ، وبوساطتها يمكننا أيضًا مراجعة بيانات وصور كل ركاب الطائرة ، القادمة من ( تل أبيب ) ، قبل أن تمسّ إطاراتها أرض المهبط .

ولوّح بسبَّابته ، مضيفًا فى هدوء عجيب ، لا يخلو من رنّة زهو وغرور :

ـ وباستخدام برنامج من برامج الرسوم ثلاثية الأبعاد ، التى تطوَّرت كثيرًا فى الأعوام الأخيرة ، يمكننا مقارنة تركيب وجوه الجميع ، مع تركيبة وجه ( أدهم صبرى ) هذا ..

سأله الثالث مبهورًا :

ـ هل يستطيع الكمبيوتر حقًا أن يفعل هذا ؟!

ابتسم ( سبيلمان ) فى سخرية ، وهو يجيب :

ـ هذا يحتاج إلى محترف .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مضيفًا :

ـ مثلى .

نطقها بمنتهى الزهو والغرور ، حتى إن الرجال الثلاثة قد تبادلوا نظرة صامتة ساخرة ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ ها هى ذى الطائرة .

تابع ( سبيلمان) ببصره هبوط الطائرة ، وتسارعت ضربات أصابعه ، على أزرار الكمبيوتر النقّال ، الذى راح يقارن بين وجه ( أدهم ) ، ووجوه كل ركاب الطائرة ، قبل أن تظهر على شاشته عبارة تقول :

ـ لا توجد حالة تطابق واحدة ، ولكن هناك ثلاثة احتمالات .

ثم ارتسمت على الشاشة ثلاثة صور ، تطلّع إليها ( سبيلمان ) فى اهتمام ، مغمغمًا :

ـ تاجر أحذية ، وقس ، وجنرال سابق .. ترى أيهم أنت يا سيد ( أدهم ) ؟!



سأله أحد الرجال الثلاثة :

ـ هل نقتل ثلاثتهم يا أدون ( سبيلمان ) ؟!

أجابه ( سبيلمان ) ، وهو يواصل العمل على برنامجه بسرعة أكبر :

ـ هذا يبدو لى حلاً لطيفًا ومريحًا ، ولكن مشكلته أنك لو خطوت خطوة واحدة خاطئة ، فستمنح السيد ( أدهم ) فرصة مثالية لاستغلال هذا ، والتحرك بسرعته وبراعته المعهودتين ، ليضيف اسمى إلى أسماء كل من هزمهم وسخر منهم ، من رجال مخابراتنا .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ وأنا مصرّ على ألا يحدث هذا قط .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة مفعمة بالحيرة هذه المرة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى حذر شديد :

ـ ماذا سنفعل إذن يا سيدى ؟!

هزّ ( سبيلمان ) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لقد طلبت من الكمبيوتر أن يجرى فحصًا أكثر دقة وتقدمًا ، على الرجال الثلاثة ، الذين وقع عليهم اختياره فى المرة الأولى .

غمغم آخر ، فى شىء من العصبية :

ـ وماذا عنا ؟!

أجاب فى صرامة ، وكأنما لا يروق له أن يناقشه أحد :

ـ انتشروا فى المطار ، وراقبوا الرجال الثلاثة ، الذين يطبع الكمبيوتر صورهم الآن .. كل منكم يحمل جهاز الاتصال الخاص به ، وعندما أتوصَّل إلى هويته الحقيقية ، سأبلغكم بالأمر ، لتنقضّوا عليه على الفور .

بدا وكأن هذا الجواب قد أراحهم ، فقد فتح ثلاثتهم أبواب السيارة فى آن واحد ، وأحدهم يقول :

ـ عظيم .

ناولهم ( سبيلمان ) تلك الصور ، التى طبعها عبر الكمبيوتر ، وهو يقول فى حزم :

ـ اكتفوا بالمراقبة ، وإياكم أن تتحرَّكوا ، قبل أن أحدِّد الهدف .. هل تفهمون ؟!

غمغم ثلاثتهم فى آن واحد :

ـ بالتأكيد .

ثم اتجهوا إلى المطار ، وراحوا يراقبون صالة الجمارك والوصول ..



كان ركاب الطائرة الإسرائيلية ينهون إجراءاتهم ، عندما تقدَّم ( أدهم ) ، فى زى القس الإنجليزى ، إلى أحد ضباط الجمارك ، قائلا :

ـ معذرة يا ولدى .. لست أحمل أية حقائب ، ولكننى فى انتظار طائرة خاصة ، فما الذى يمكن فعله ، حتى تصل إلى هنا ؟!

أجابه الضابط فى احترام بالغ :

ـ يمكنك أن تفعل كل ما يحلو لك يا أبتاه .. هناك صالة انتظار ، ومقهى كبير ، كما أن تأشيرتك تبيح لك التجوُّل فى نيقوسيا ، حتى تصل طائرتك .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول فى وقار ، يتناسب مع الزى الذى يرتديه :

ـ أشكرك يا ولدى .. أشكرك كثيرًا .

قالها ، وراح يجوَّل فى المكان فى هدوء ، وعقله يعاود دراسة الموقف كله للمرة العاشرة أو الخامسة عشرة ..

لقد نجح فى خداع الإسرائيليين ، وأعوانهم فى مؤسسته ، عندما طلب إرسال طائرة خاصة ، لتحمله من ( لندن ) ..

اتصاله هذا وجّه أنظارهم إلى طائرة ( لندن ) ، وهى الاختيار المنطقى ، لمن يرغب فى بلوغ ( أمريكا الجنوبية ) ، بأسرع وسيلة ممكنة ، فى حين استقلَّ هو طائرة ( لارناكا ) بكل هدوء وبساطه ، وكلابهم المسعورة تنقضّ فى شراسة ، على طائرة ( لندن) ..

وها هو ذا الآن فى ( قبرص ) ..

ومن المؤكد أنهم يعلمون هذا ..

وأنهم قد اتخذوا كل ما يمكنهم من إجراءات ؛ لإبقائه فيها ، ومنعه من استكمال رحلته ..

بأى ثمن ..

أى ثمن ..

ومن المؤكد أيضًا أن رجالهم فى ( لندن ) سينتظرون وصول طائرة مؤسسة ( أميجو ) ..

وسيمنعونها من إكمال رحلتها أيضًا ..

ولهذا طلب من ( القاهرة ) أن ترسل إليه طائرة خاصة ..

طائرة تصلح لرحلة طويلة عبر المحيط ..

رحلة إلى ( أمريكا الجنوبية ) ..

إلى مكان ما من ( أمريكا الجنوبية ) ..



إلى هدف لم يتحدَّد ..

بعد ..

كانت الأفكار تعدو فى عقله ، وعيناه تجوبان المكان ، بحثًا عن رجال ( الموساد ) ..

ورصدت عيناه واحدًا ..

وثانيًا ..

وثالثًا ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يتساءل فى أعماقه : تُرى هل ينتقى ( الموساد ) رجاله من طراز تقليدى ، أم أن خبرته الطويلة ، هى التى جعلت من السهل عليه أن يميِّزهم ، وسط أشد المناطق زحامًا ، واختلاطًا بالأجناس ..

كان يراقبهم بدوره ، عندما التقط ثلاثتهم أجهزة اتصالاتهم فى آن واحد ، واستمعوا إليها فى اهتمام بالغ ، انعقد له حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أن لحظة المواجهة قد حانت .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى التفت ثلاثتهم إليه ، فى آن واحد ، وأطلّ الشر ، كل الشر من عيونهم ، فانقبضت عضلات ( أدهم ) ، وتمتم فى سخرية :

- تُرى ماذا سيكون رد فعل رواد المطار وضباط الجمارك ، عندما يشاهدون قسًا وقورًا ، يقاتل ثلاثة من الأوغاد ، وكأنهم جميعًا فى حلبة مصارعة ؟!

ضمَّ قبضتيه ، واستعدَّت كل خلية فى جسده للقتال ، و ....

ولكن فجأة ، استلّ الثلاثة مسدساتهم ، وانطلقوا نحوه ..

كانت مبادرة جنونية عجيبة للغاية ..

وأسلوب يشفّ عن أن الإسرائيليين قد تلقّوا أمرًا بالقضاء عليه ، مهما كان الثمن بالفعل ..

حتى ولو كان مذبحة ، فى قلب مطار ( ليماسول ) ..

وقبل أن تتواصل أفكاره ، انطلقت صرخة من إحدى النساء فى المطار ، عندما وقع بصرها على الرجال الثلاثة ومسدساتهم ..

ومع صرختها ، وكرد فعل تلقائى ، ضغط الإسرائيليون الثلاثة أزندة مسدساتهم الضخمة ..

وانطلقت الرصاصات تدوى فى مطار ( لارناكا ) من طرف واحد ..



وبدأت المذبحة ، التى توقعها ( أدهم ) ..

وبعنف ..

* * *

« نداء على كل الموجات ، إلى الهليكوبتر مجهولة الهوية .. أنت تقترب من منطقة خاصة ، ومجال جوى محظور اختراقه .. هذا تحذير واحد وأخير .. سيتم قذفك بالصواريخ الموجَّهة ، فور دخولك المجال الخاص بنا .. حدِّد هويتك ، وابتعد على الفور » .

تردَّد النداء بالإسبانية ، داخل الهليكوبتر الصغيرة ، التى تحلّق على ارتفاع منخفض ، فوق الغابات المحيطة بمدينة ( كومانا ) الفنزويلية ، فارتسمت ابتسامة ساخرة ، على المرأة الجميلة ، التى تجلس إلى جوار قائد الهليكوبتر ، وهى تلتقط بوق جهاز الاتصال ، قائلة باللغة نفسها :

- إنه أنا يا ( دوناهيو ) .. مسز ( فلورانس ) .. كلمة السر الآن هى ( جوانا ) .. استعدوا لهبوط طائرتى .

أتاها صوت الإسرائيلى ، وهو يهتف فى دهشة :

- ( كلارا ) ؟! ما الذى أتى بك الآن؟! المفترض أن تبلغينا قبل قدومك .

أجابته فى غضب صارم :

- استعدوا لهبوط طائرتى يا ( دوناهيو ) ، وإياك أن تتحدث معى بهذا الأسلوب مرة أخرى .. هل تفهم؟!

قالتها ، وأنهت الاتصال فى عنف ، فسألها الطيار فى توتر :

- والآن ماذا سنفعل يا سيِّدتى ؟!

أجابته فى صرامة ، وهى تشعل سيجارتها :

- كما تفعل فى كل مرة .. سنهبط وسط القاعدة .

شعر الطيَّار بالقلق ، وهو يخترق المجال الجوى المحظور ، ويتجه نحو القاعدة مباشرة ، وخُيِّل إليه فى كل لحظة ، أن صاروخًا موجَّهًا سينطلق بغتة ، ليسحقه مع طائرته سحقًا ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ، على الرغم من غضب ( دوناهيو ) واعتراضه ..

لقد هبطت الهليكوبتر فى سلام ، وسط القاعدة السرية ، التى تختفى وسط الأحراش والمستنقعات ، ولم تكد ( كلارا ) تغادرها ، حتى اندفع نحوها ( دوناهيو ) ، هاتفًا :



- ( كلارا ) .. هذا التصرُّف غير مفهوم ، وغير مقبول على الإطلاق .. أنت تعلمين أن الأوامر الجديدة تضاعف من صرامة وشدة إجراءات الأمن ، وطبقًا لها ، كان ينبغى أن أنسف طائرتك بأحد صواريخنا ، ما دمت لم أتلقَ إخطارًا مسبقًا بقدومك .

دفعته جانبًا ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى وجهه ، قائلة :

- أنا أعلم الأوامر الجديدة ، ولكنك تجهل التطوّرات الأخيرة .

نجحت عبارتها فى تفتيت غضبه ، وتحويله إلى قلق واضح ، وهو يسألها :

- أية تطورات أخيرة ؟!

لم تجب تساؤله المتوتر مباشرة ، وهى تتجه فى خطوات واسعة سريعة ، إلى مبنى قيادة القاعدة ، حتى دخلت إلى المبنى، وجلست على أفضل مقعد فيه، ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تقول :

- ( أدهم صبرى ) ظهر فى الصورة .

خُيِّل إليها أن الدماء قد اختفت من وجهه بغتة ، وهو يردِّد :

- ( أدهم صبرى ) ؟! وكيف ؟!

قاطعته ، وقد راق لها ما أحدثته به من تأثير :

- رئيسك الأحمق كشف له العملية، دون أن يدرى.

جلس ( دوناهيو ) على أقرب مقعد إليه ، دون أن يدرى ، وهو يتمتم :

- مستحيل !

روت له ما لديها باختصار ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى وجهه ، حتى انتهت من حديثها ، فغمغم محنقًا :

- لهذا قرر ( ديلشمسكى ) العودة بطائرة خاصة .

سألته فى اهتمام :

- هل سيفعل حقًا ؟!

انعقد حاجباه ، وكأنما انتبه إلى زلة لسانه ، فقال فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك يا ( كلارا ) .

ثم نهض فى حدة ، مستطردًا :

- صحيح أنك أفضل من يتعاون معنا ، والرؤساء يوصون بك خيرًا ، ويثقون بك كثيرًا ، ولست أدرى لماذا ، ولكن هذا لا يمنحك الحق فى دس أنفك فى شئوننا على هذا النحو .



قالت فى غضب :

- دس أنفى ؟!

ثم هبت من مقعدها ، وواجهته فى صرامة غاضبة :

- ألم يخبرك رؤساؤك أننى شريك كامل ، فى هذه العملية بالذات ؟!

ألم يبلغك أحدهم أن نصف تكاليف العملية بالكامل ، حصلتم عليه منى ؟!

قال فى حدة :

- حتى هذا لا يمنحك الحق فى التدخل ، ما دامت عجلة الأمور قد دارت بالفعل .. فمنذ اللحظة التى نتسلم فيها العمل ، لا يجوز لأحد غيرنا الحق فى التدخل ، أو إصدار الأوامر، أو ، وأنا أكررها عامدًا ، دس أنفه فى شئوننا .. ومرة أخرى أقولها .. لا أحد له حق دس أنفه فى شئوننا ، حتى الممولين لكل أعمالنا .

رمقته بنظرة غاضبة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، دون أن تعلق على عبارته ، فتابع فى صرامة :

- إنها عملية كبرى يا جميلتى .. عملية لا تهدف إلى مجرد تدمير قمر صناعى عربى فحسب ، ولكن هدفها الأصلى هو تحطيم الحلم المصرى بالتفوق ، وباللحاق بركب القرن القادم ، وفى مثل هذه الأمور تتلاشى كل الأصوات ، سوى صوت واحد .. مصلحة وأمن ( إسرائيل ) .. هل تفهمين ؟!

التقت عيونهما لحظة فى تحد ، قبل أن تقول هى فى بطء :

- بالتأكيد .

ثم ألقت سيجارتها بطول ذراعها ، وهى تستطرد :

- إننى أفهم الأمور أكثر مما تتصور .. وربما أكثر مما تفهمها أنت ، كرجل مخابرات عادى ، كل مهمته تنفيذ ما يأمره به رؤساؤه .

أجابها فى تحد :

- هذا يكفينى .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، وهى تقول :

- بالطبع .. كل يكتفى بما يناسبه .

ثم عادت تجلس على مقعدها ، وتضع إحدى ساقيها فوق الأخرى، وتشعل سيجارة أخرى ، قائلة :



- والآن ، هل سأقطع كل هذه المسافة ، دون أن أحظى بكأس شراب على الأقل .

رمقها بنظرة شك ، وهو يسألها :

- هل سيكفيك هذا يا ( كلارا ) ؟!

ابتسمت ، قائلة :

- ما دمت لن أحصل على المزيد .

ظل يرمقها بنظرة الشك بضع لحظات أخرى ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

- فليكن يا ( كلارا ) .. كأس واحدة ، وترحلين على الفور .

نفثت دخان سيجارتها فى بطء مستفز ، قبل أن تقول :

- اتفقنا .

عاد يرمقها بنفس النظرة ، وكأنما لا يروق له ، أو لا يستطيع استيعاب هدوئها واستسلامها المباغت ، ثم مال ليلتقط زجاجة شراب ، موضوعة إلى جوار أجهزة التحكم الإليكترونى ، فهزت رأسها ، قائلة :

- ليس هذه الزجاجة .. إننى لا أشرب قط من زجاجة مفتوحة .. أريد واحدة جديدة .

قال فى حدة :

- ليس لدينا الكثير هنا .

ابتسمت فى خبث ، قائلة :

- سأكتفى بواحدة من الزجاجات ، التى تخفيها تحت فراشك .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

- وكيف علمت بأمر تلك الزجاجات ؟!

أطلقت ضحكة عالية طويلة ، قبل أن تلوح بيدها فى أناقة ، قائلة :

- ألم أقل لك : إننى أعلم الكثير ؟!

انعقد حاجباه فى توتر ، وعاد يتفحصها بنظرة شك طويلة ، قبل أن يقول فى بطء حذر :

- فليكن يا ( كلارا ) .. كأس واحدة وترحلين .

هزت كتفيها ، وأشارت برأسها علامة الموافقة ، فتمتم :

- وبأسرع ما يمكن .

ابتسمت ابتسامة باردة ، فغادر المكان فى خطوات سريعة ، لإحضار واحدة من الزجاجات من غرفته ، وتابعته هى ببصرها فى هدوء ، حتى اختفى تماما ، فغمغمت فى مقت :



- أيها الوغد .

ثم نهضت من مقعدها فى خفة ، والتقطت من بين ثيابها أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، وهى تضغط زرا فى جهاز التحكم الرئيسى ، متابعة :

- هناك شىء ينبغى أن تعلمه عن (كلارا فلورانس) أيها الحقير .

ومع ضغطة الزر ، انفتح جزء من جهاز التحكم الرئيسى ، وبدت داخله أسطوانة مدمجة ، تشبه تماما التى التقطتها من ثيابها ، فأسرعت تبدل الأسطوانتين، فوضعت الأسطوانة التى أحضرتها ، فى جهاز التحكم الرئيسى ، وأخفت الأخرى فى ثيابها ، وعادت بسرعة وخفة إلى مقعدها ، مكملة :

- إننى لا أرضى سوى بالتحكم التام فى الأمور .. التحكم التام .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى برز ( دوناهيو ) ، حاملا زجاجة الشراب ، فاتسعت ابتسامتها وهى تستقبله ، وتنفث دخان سيجارتها مرة أخرى فى وجهه ..

وفى هذه المرة ، تحولت ابتسامتها إلى ضحكة ..

ضحكة طويلة ساخرة ، حملت كل استهتارها ..
وثقتها ..

★ ★ ★

منذ اللحظة الأولى ، التى استلّ فيها الإسرائيليون الثلاثة مسدساتهم ، أدرك ( أدهم ) أن المكان سيتحوّل ، فى لحظة واحدة ، إلى ساحة قتال عنيفة ..

وأن الضحايا سيتساقطون بالعشرات ..

وستسيل الدماء البريئة ..

لذا ، فقد تحرّك ( أدهم ) بسرعة ..

وعندما نصف تحرّك رجل مثل ( أدهم صبرى ) ، بأنه تحرّك سريع ، فهذا يعنى أنه قد انطلق كالريح ..
كالعاصفة ..

أو بمعنى أكثر دقة ، كالإعصار ..

ففى لحظة واحدة ، دفع المرأة التى تجاوره بعيدًا ؛ ليحميها من الرصاصات ، ثم انحنى يلتقط حقيبة كبيرة ، ويلقيها نحو الإسرائيليين الثلاثة ، قبل أن يثب جانبًا ؛ لتفادى نيرانهم ..

وانطلقت الرصاصات ..

وأصيب أحد ضباط الجمارك ، ولقى شيخ إيطالى



مصرعه ، وسقطت سيدة فرنسية مصابة برصاصة فى ظهرها ..

وانطلقت الصرخات فى كل مكان ..

واتسعت العيون فى ذهول ..

ذهول مزدوج ..

فوسط النيران والرصاصات والصراخ ، أدرك الجميع أن هؤلاء العمالقة الثلاثة ، الذين ينطلقون كالثيران الهائجة ، ويطلقون النار كالمطر ، إنما يقصدون ذلك القس الكهل ، الذى امتزج بياض لحيته بسوادها ، وحمل كل الهيبة والوقار ..

والمذهل أكثر ، أن ذلك القس لم يقف ساكنًا ..

لقد تحرّك بسرعة وخفة ، لا تتناسبان مع هيئته وهيبته قط ..

لقد وثب جانبًا ، وانزلق على الأرضية المصقولة ، ليختطف قدحًا فخاريًا ، سقط مع الذعر والفوضى ، وألقاه بكل قوته ، نحو أحد الرجال الثلاثة ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها القدح بأنف الإسرائيلى ، وانتزعه من مكانه ، ليلقى به أرضًا فى عنف ، كان (أدهم) يقفز واقفًا على قدميه ، ثم يثب

ليضع قدمه اليسرى على السور القصير ، الذى يفصل المنطقة الجمركية عن صالة الوصول ، ويدفع السور بكل قوته ، ليثب مرة أخرى كالفهد ، نحو الإسرائيلى الثانى ..

وأطلق الإسرائيلى النار ، وهو يتراجع فى دهشة ..

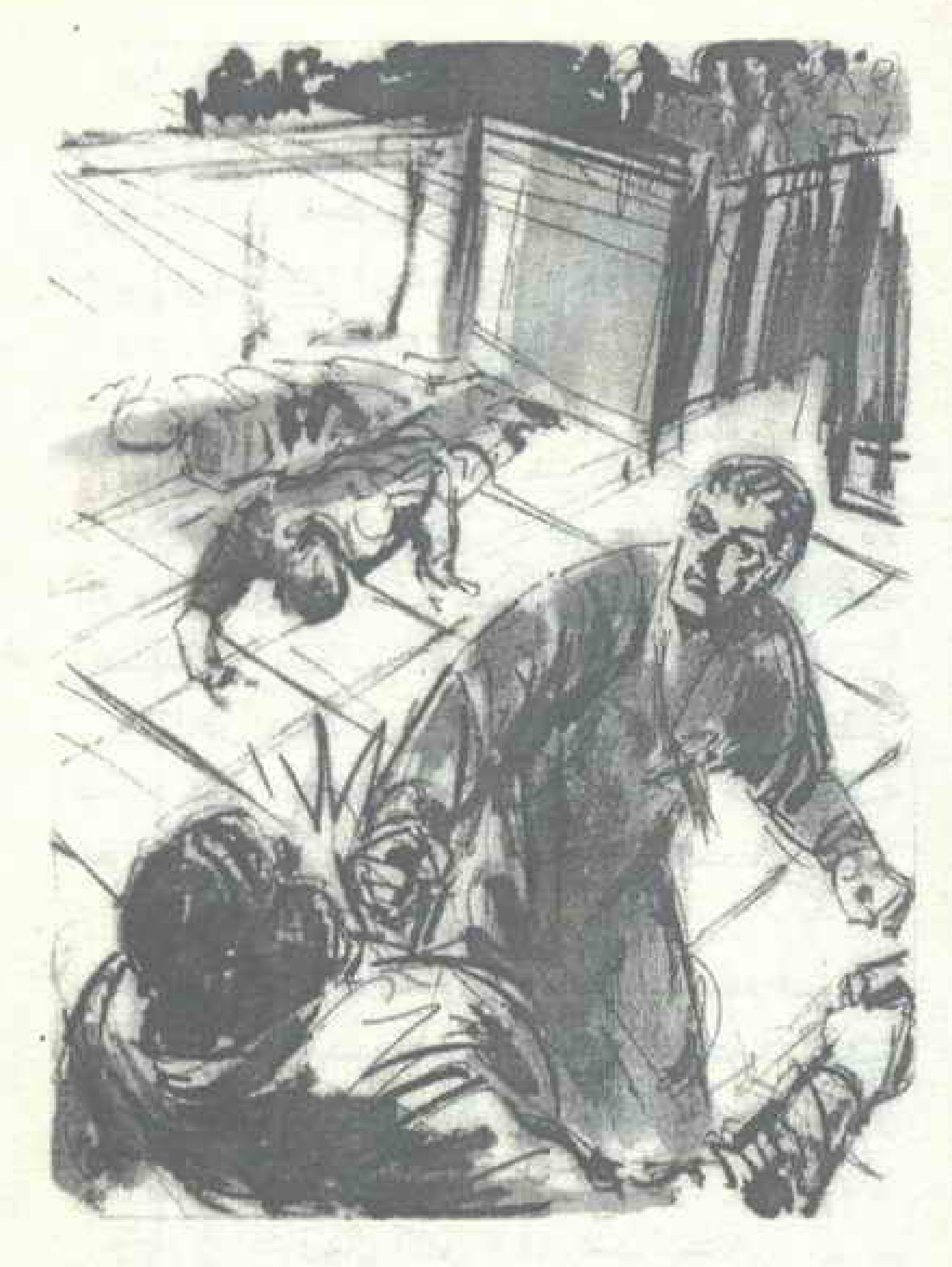
واخترقت إحدى رصاصاته ذراع ( أدهم ) اليسرى، قبل أن ينقضَ هذا الأخير على الإسرائيلى بكل قوته ، ويكيل له لكمة كالقنبلة ، حطمت أنفه تحطيمًا ..

وسقط العملاق الإسرائيلى ، ثم لم يلبث أن هبَّ واقفًا فى سرعة ، على الرغم من الدماء ، التى تسيل من أنفه فى غزارة ، وتغرق فمه ولحيته ، وارتفعت فوهة مسدسه مرة أخرى نحو ( أدهم )، الذى هتف ، وهو يقبض على معصمه بكل قوته :

- النهوض لا يعنى الفوز دائمًا يا هذا ..

لكمه الضخم بكل قوته ، ولكن ( أدهم ) تفادى اللكمة ، وهوى على معدته بلكمة قوية ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها الإسرائيلى ، الذى أسقطه القدح الفخارى ، واندفع مع زميله نحو ( أدهم ) ، وهما يطلقان رصاصات مسدسيهما بلا توقف ..





**واخترقت إحدى رصاصاته ذراع ( أدهم ) اليسرى ، قبل أن ينقضَّ هذا الأخير على الإسرائيلى بكل قوته ..**

كان الجميع قد انبطحوا أرضًا ، وهم يصرخون أو يتوسلون ، فيما عدا (أدهم ) ، والإسرائيليون الثلاثة ، ورجال أمن المطار ، الذين سحبوا مسدساتهم بدورهم، واندفعوا فى محاولة للسيطرة على الموقف..

ولم يكن هناك سوى سبيل واحد ، ليتفادى ( أدهم ) سيل النيران ، الذى ينهمر عليه كالمطر ..

على الرغم من أنه يبغض هذا الأسلوب ..

لقد لوى ذراع الإسرائيلى ، الذى يشتبك معه ، ثم أداره فى قوة ؛ ليصنع منه درعًا ، فى مواجهة رصاصات زميليه ..

وانتفض جسد الإسرائيلى الضخم ، عندما تلقى جسده كل رصاصات زميليه ، وانطلقت من حلقه صرخة ألم مذعورة ، قبل أن يتراخى جسده كله ..

ولكن ( أدهم ) لم يفلته ..

لقد ظلَّ ممسكا به ، ودفع جسده الضخم أمامه ، وهو يندفع به نحو الآخرين ، اللذين واصلا إطلاق النيران ، غير عابئين بتمزُّق جسد زميلهما ، الذى يحتمى به ( أدهم ) ..

وصرخ أحد رجال الأمن ، فى هذه اللحظة :

ـ توقفوا وإلا ..



لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما استدار إليه أحد الضخمين ، وأطلق عليه رصاصاته ، التى اخترقت جسده ، واقتلعته من مكانه ، لتلقى به فوق زملائه ، الذين تفجَّر غضبهم ، فانطلقت رصاصاتهم بدورهم ..

وتحوَّل المكان ، فى لحظة واحدة ، إلى جحيم من النيران ..

جحيم حقيقى ، تتطاير فيه الرصاصات فى كل صوب ، وتنطلق فيه صرخات عشرات الأبرياء المذعورين ..

والعجيب أن ذلك الثور ، الذى يمسك به ( أدهم ) ، كان قد لقى مصرعه ، ولكنه ما زال يمسك مسدسه فى قبضته ، لذا فقد اختطفه منه ( أدهم ) ، وراح يطلق رصاصاته بدوره ..

وأطاحت رصاصاته بمسدس أحد الرجلين ، ولم يكد هذا يحدث ، حتى حصدت رصاصات رجال الأمن الرجل ، وألقته جثة هامدة ، فانحنى زميله فى سرعة ، وجذب امرأة شابة من شعرها ، وصنع منها درعًا أمامه ، وهو يصرخ :

ـ سأقتلها .. أقسم أن أنسف رأسها، لو خطا أحدكم خطوة زائدة .

كانت المرأة تصرخ فى رعب هائل ، حتى إن النيران كلها قد توقفت بغتة ، وبدا القلق والتوتر على وجوه الجميع ، وألقى ( أدهم ) جثة الإسرائيلى الضخم ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اترك المرأة أيها الوغد .. القتال بيننا فحسب .

نطقها باليونانية ، وبلهجة سليمة تمامًا ، جعلت رجال أمن المطار يتبادلون نظرة دهشة ، قبل أن يهتف أحدهم به :

ـ أنت لست قسًا يا هذا !! من أنت بالضبط ؟!

كان الجانب الأيسر من لحية ( أدهم ) قد تدلى ، مع عنف القتال ، فانتزعها ، وألقاها جانبًا ، وهو يجيب فى صرامة واقتضاب :

ـ صديق .

تبادل رجال الأمن نظرة دهشة أخرى ، امتزجت بالكثير من الشك هذه المرة ، فى حين هتف الإسرائيلى فى عصبية ، وهو يجذب المرأة فى قسوة أكثر :

ـ ألق سلاحك .



قال ( أدهم ) فى هدوء عجيب، لم يخل من الصرامة :

ـ وماذا بعد أن أفعل ؟! هل ستطلق النار علىَّ مباشرة ؟!

تألَّقت عينا الإسرائيلى فى وحشية ، وهو يقول فى شراسة :

ـ إننا نعرف الكثير عنك أيها المصرى .. إنك لن تسمح بقتل امرأة بريئة قط ، حتى ولو كان الثمن هو حياتك .. إنها نقطة ضعفك الوحيدة .. ستدفع حياتك بمنتهى الحماقة ، ثمنًا لحياة امرأة مجهولة !

انعقد حاجبا ( أدهم ) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ اترك المرأة يا هذا .

ابتسم الإسرائيلى ، وهو يرفع مسدسه نحو ( أدهم ) ، قائلاً :

ـ بل اترك أنت الحياة أيها المصرى .

نطقها ، وهو يجذب المرأة إليه فى قوة ، ليصنع منها درعًا يحميه ، ثم ضغط زناد المسدس ، وهو يصوِّبه نحو ( أدهم ) تمامًا ، و ..

وأطلق النار .

* * *

# ٦- الهدف ..

بذل ( يارون ديلشمسكى ) جهدًا حقيقيًا ، فى محاولة للاسترخاء ، داخل الطائرة الخاصة ، التى تنطلق به ، من ( تل أبيب ) إلى ( كراكس ) ، عاصمة ( فنزويلا ) ، إلا أن كل محاولاته ذهبت سدى، مع ذلك التوتر الشديد ، الذى يشعر به فى أعماقه ، وهو يتذكر ما فعله به ( أدهم ) فى ( تل أبيب ) ، وما يمكن أن يفعله ، لو توصَّل إلى موقع قاعدة الإطلاق السرية فى ( كومانا ) ..

صحيح أنه لم يلتق بـ ( أدهم ) قط ، إلا فى هذه المرة ، إلا أنه يعلم جيدًا ، أن وصول ( أدهم ) إلى ( كومانا ) سيهدِّد المهمة كلها بالفشل ..

بل بالدمار ..

لقد قرأ الكثير مما فعله ( أدهم ) من قبل ..

وشاهد بنفسه ما أصاب كل من تصدَّى له ..

وآخرهم ( دافيد ) و ( جولدمان ) اللذين كان الجميع يعتبرونهما أسطورة ( الموساد ) ..



وها قد حان دوره ..

صحيح أن رؤساءه يعتبرونه واحدًا من أخطر ضباط ( الموساد ) ، إلى الحد الذى جعلهم يسندون إليه عملية النيل .. أكبر وأخطر عملياتهم ، فى القرن العشرين ، إلا أنه يدرك جيِّدًا أن ( أدهم ) ليس بالخصم السهل ..

تاريخه يؤكد هذا ، وبصمته التى وضعها على أخطر أجهزة المخابرات ، وأقوى منظمات الجاسوسية والإجرام تعلن هذا بكل وضوح ..

وهو أيضًا يرغب فى المحافظة على تاريخه ..

إنه لم يفشل فى مهمة واحدة ، منذ تسلَّم عمله فى ( الموساد ) ..

وسيقاتل بكل عنف وشراسة ، حتى يواصل انتصاراته ..

حتى فى وجود خصم مثل ( أدهم ) ..

وفى عصبية ، نهض من مقعده ، واقتحم كابينة القيادة ، وهو يقول للطيَّار ومساعده فى حزم وصرامة :

- أريد إجراء اتصال لاسلكى .

أجابه الطيَّار فى هدوء :

- هذه طائرة خاصة ، وستجد هاتفًا إلى جوار مقعدك .

عاد إلى مقعده فى سرعة ، والتقط ذلك الهاتف اللاسلكى الخاص ، وضرب أزراره فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال فى صرامة :

- أنا ( ديلشمسكى ) .. كيف الحال عندك يا ( سبيلمان ) ؟!

أجابه ( رون سبيلمان ) ، من داخل سيارته ، أمام مطار ( لارناكا ) :

- أهلاً يا ( ديلشمسكى ).. لقد توصلت إلى الهوية، التى تنكَّر فيها ذلك المصرى ، ورجالنا يتولون أمره الآن .

أجابه ( ديلشمسكى ) فى حدة :

- قول يتناسب مع زعيم شرزمة من البلطجية ، وليس رجل مخابرات محترف يا ( سبيلمان ) .. أريد تقريرًا رسميًا واضحًا .

سأله ( سبيلمان ) فى ضيق :

- ماذا تريد بالضبط يا ( ديلشمسكى ) ؟!

أجابه فى غضب :

- أريد معرفة الموقف بالضبط .



قال ( سبيلمان )، وقد تسلَّلت العصبية إلى صوته :

- الموقف هو أن طائرة ( تل أبيب ) قد وصلت بالفعل ، وبرنامج الكمبيوتر الخاص بى أمكنه تعرُّف المصرى ، على الرغم من تنكره ، ولقد أرسلت الموجة الأولى من رجالى إليه بمهمة محدودة ، ألا وهى القضاء عليه تمامًا ، بأى ثمن كان ، وها هو ذا دوى الرصاصات يتردَّد داخل المطار ، ويمكنك أن تسمعه بنفسك .

قالها ، وفرد ذراعه عن آخرها ، لينقل هاتفه المحمول دوى الرصاصات إلى ( ديلشمسكى ) ، الذى قال فى صرامة :

- هذا لا يعنى شيئًا .

قال ( سبيلمان ) ساخرًا :

- وما الذى يمكن أن يعنى شيئًا يا (ديلشمسكى) ؟! القنابل النووية ؟!

أجابه ( ديلشمسكى ) :

- إنها ليست المرة الأولى ، التى يواجه فيها ( أدهم صبرى ) رصاصات أعدائه ، وليست المرة الأولى التى ينجو فيها منهم أيضًا ؛ هذا لأنكم جميعًا تواجهونه بأسلحتكم وحدها .

قال ( سبيلمان ) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟! أتقول إننا ينبغى أن نواجهه بعقولنا أيضًا ؟!

هزَّ ( ديلشمسكى ) رأسه ، وكأن ( سبيلمان ) يقف أمامه ، داخل الطائرة الخاصة ، وقال فى حزم :

ـ بل أسلحته هو .

لم يفهم ( سبيلمان ) ما يعنيه ( ديلشمسكى ) ، فقال فى حذر :

ـ ماذا تقول ؟!

أجابه ( ديلشمسكى ) فى شرود ، وكأنما يحدِّث نفسه :

ـ أقول : إن هذا ما لم يفكِّر فيه أحد من قبل .. أن نقاتل ( أدهم صبرى ) بأسلحته هو ، وليس بأسلحتنا نحن .

قال ( سبيلمان ) فى عصبية :

ـ لست أفهم ما تعنيه .

أجابه ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

ـ المهم أننى أفهمه .

ثم تابع بلهجة آمرة :

ـ اسمعنى جيدًا يا ( سبيلمان ) .. لهجتك توحى



بأنك واثق تمامًا ، من قدرتك على الظفر برجل المخابرات المصرى ، الذى لم يظفر به أحد من قبل ، ولكننى لست أشاركك ثقتك هذه .. سيسعدنى بالطبع أن تتخلص منه ، ولكن المهم الآن أن تمنعه من مغادرة ( لارناكا ) بأى ثمن .. هل تفهم ؟!

أجابه ( سبيلمان ) فى حزم :

ـ اطمئن يا (ديلشمسكى) .. حتى لو فشل الرجال الثلاثة ، الذين أرسلتهم خلفه ، فما زالت هناك موجات أخرى وأخرى ، وسأمنع (أدهم صبرى ) هذا من مغادرة ( لارناكا) ، حتى ولو اضطررت لنسف المطار كله .

قال ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

ـ بالضبط .

ثم أنهى الاتصال ، مستطردًا :

ـ وحتى لو فشلت يا ( سبيلمان) .. فلن أفشل أنا .

انعقد حاجباه فى حزم ، وراح عقله يستعيد الموقف كله منذ البداية ..

منذ تلك اللحظة ، التى التقى فيها بـ ( أدهم ) مصادفة ، وهو متنكر فى هيئة ( جيل موراى ) ، فى كلية ( بن جوريون ) للناشئين ، و ..

ولكن مهلاً ..

ما الذى كان يفعله ( أدهم ) هناك ؟!

ما المعلومات التى طلبها من الكلية ، والتى كانت السكرتيرة الشمطاء بصدد إعدادها ؟!

كيف أهمل الجميع هذه النقطة ؟!

كيف ؟!

لم يكد السؤال يستقر فى ذهنه ، حتى اختطف سمّاعة الهاتف مرة أخرى ، وطلب رقم مكتبه فى ( تل أبيب ) ، ولم يكد يسمع صوت مساعده ، حتى قال بلهجة آمرة حازمة :

ـ أنا ( ديلشمسكى ) .. استمع إلىَّ جيدًا ، ونفذ ما سأخبرك به بمنتهى السرعة والدقة .. أريد منك أن تذهب فورًا إلى كلية ( بن جوريون ) للناشئين ..

وبتر عبارته بضع لحظات ، قبل أن يهتف فى صرامة :

ـ أعلم أننا فى منتصف الليل الآن ، ولكن هذا لا يعنى شيئًا .. حطم أبواب الكلية لو اقتضى الأمر ، وانتزع المديرة وسكرتيرتها من فراشيهما .. المهم أن تحصل على ما سأطلبه منك، وأن تبلغنى به على وجه السرعة..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بمنتهى الحزم والصرامة :



ـ أريد هذه المعلومات يا رجل .. أريدها بشدة ، فربما كانت ، فى لحظة ما ، هى أقوى سلاح يمكن أن نربح به حربنا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يكمل :

ـ حربنا مع ( أدهم صبرى ) .

وفى عبارته الأخيرة ، حمل صوته كل حزمه ..

وعزمه ..

و ....

وعنفه ..

* * *

عندما جذب الإسرائيلى الضخم تلك المرأة إليه ، ليصنع من جسدها درعًا واقيًا ، وهو يصوّب مسدسه إلى ( أدهم ) ، كان واثقًا من أن هذا كفيل بحمايته تمامًا ؛ لأن ( أدهم ) لن يجازف بإطلاق النار أبدًا ، فى هذه الحالة ، و ..

ولكن ( أدهم ) خالف توقعاته تمامًا ..

صحيح أن الإسرائيلى كان يحتمى بالمرأة ..

إلا أنه كان أكثر ضخامة منها بكثير ..

وهذا يعنى أنه كانت هناك أجزاء مكشوفة من جسده ..

ورأسه ..

وبالنسبة لأى رجل أمن عادى ، كان من المستحيل أن يجازف بإطلاق النار ، فى موقف كهذا ..

أما بالنسبة لرجل مثل ( أدهم ) فقد كان الموقف يختلف ..

كثيرًا ..

ففى نفس اللحظة ، التى همَّ فيها الإسرائيلى بضغط زناد مسدسه ، ارتفعت يد ( أدهم ) بسرعة البرق ..

ودوت فى المكان رصاصتان ..

إحداهما سبقت الأخرى بثانية واحدة ..

أو أقل قليلاً ..

وصرخت المرأة ، التى يمسك بها الإسرائيلى ، عندما تناثرت الدماء على وجهها ، وانقبضت الذراع الممسكة بها لحظة ، قبل أن تتراخى تمامًا ، وعينا صاحبها تتسع ، فى ألم ذاهل مذعور ، ثم يسقط أرضًا كالحجر ..

وفى هدوء ، وبعد أن طاشت الرصاصة الموجَّهة إليه ، وبينما كان يخفض مسدسه ، الذى ما زالت الأدخنة تتصاعد من فوهته ، اتجه ( أدهم ) نحو



السيِّدة ، التى تجمَّدت من شدة الذعر ، ومدَّ يده إليها ، قائلاً :

ـ أأنت بخير يا سيِّدتى ؟!

حدَّقت المرأة فى وجهه لحظة ، ثم نقلت بصرها المذعور إلى الإسرائيلى الصريع ، قبل أن تهتف فى رعب :

ـ لقد .. لقد أطلقت النار عليه .

أجابها ( أدهم ) ، فى أسف حقيقى :

ـ كنت مضطرًا .

صرخت فى انفعال :

ـ وكان يمكن أن تقتلنى .

تنهَّد ، قائلاً :

ـ لست أعتقد هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت من خلفه ، يصرخ :

ـ ألق مسدسك يا هذا .

استدار ( أدهم ) فى هدوء ، نحو رجال الأمن ، الذين يصوبون مسدساتهم إليه ، فى تحفز عصبى ، وقال باليونانية :

ـ لقد شاهدتم ما حدث .. إننى لست الـ ..

صرخ فيه أحدهم مقاطعًا :

ـ ألق مسدسك .

كان ( أدهم ) يدرك جيدًا أنه ليس من الحكمة أن يطرق على أعصاب رجال الأمن ، فى ظل هذه الظروف الملتهبة ، فألقى مسدسه بعيدًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا تصرُّف غير منطقى ، وغير ..

كان رجال الأمن يندفعون نحوه ، بعد أن ألقى مسدسه ، عندما دوت النيران مرة أخرى فى قوة ، وتردَّد صداها فى المكان ، على نحو مخيف ..

ومزَّقت الرصاصات أجساد رجال أمن المطار فى عنف ...

وتفجَّرت الدماء على نحو وحشى مخيف ..

وانطلقت صرخات أشدَ عنفًا وذعرًا ..

وعند مدخل المطار ، جلس ( سبيلمان ) ينفث سيجارته فى بطء وهو يراقب الموجة الثانية من رجاله ، والمكوَّنة من ستة رجال بمدافع آلية كبيرة ، وهى تنقض بكل عنف ووحشية وشراسة الدنيا على الهدف ..



على ( أدهم ) ..

* * *

تألَّقت عينا الزنجى ( ميرفى ) فى لهفة تفوح منها رائحة الطمع ، وهو يتطلَّع إلى الحقيبة ، التى يحملها ( ماكارثى ) ، الذى دلف إلى مكتبه الحقير ، وهو يقول فى حدة محنقة :

ـ قل لى يا ( ميرفى ) : كيف تمتلك كل هذه الأموال ، وتكتفى بمكتب قذر حقير ، فى منطقة رديئة كهذه ؟!

اتسعت ابتسامة ( ميرفى ) وهو يشير إلى رأسه ، مجيبًا :

ـ دعنا نعترف بأنها وسيلة عبقرية ؛ لإبعاد أنظار وأذهان الشرطة عنا .

قال ( ماكارثى ) فى سخرية عصبية :

ـ أنظار من ؟! هل تتصوَّر أنه هناك مخلوق واحد، فى نيويورك كلها، يجهل أنك ملك الجريمة بلا منازع.

لوَّح ( ميرفى ) بذراعه ، وهو يهتف :

ـ وهذا يملؤنى فخرًا يا رجل .

ثم أطلق ضحكة عالية مبتذلة ، قبل أن يغمز بعينه، مضيفًا :

- ولكن المهم أنه لا دليل واحد على هذا .. ونحن دولة نلتزم بالقانون .. أليس كذلك ؟!

وقهقه ضاحكًا ، على نحو مقزز ، جعل ( ماكارثى ) يقلب شفتيه ، وهو يرفع قطعة ثياب قذرة عن أحد المقاعد ، ليجلس عليه ، قائلاً :

- لن يمكننى فهم هذا أبدًا .. إننا نسعى للثراء ، حتى نحصل على كل وسائل الرفاهية الممكنة ، ولكن فى حالتك هذه ، فإنك تصرّ على العيش وسط القذارة والـ ..

قاطعه ( ميرفى ) فى صرامة :

- هذا هو أسلوب الحياة ، الذى يروق لى يا هذا .

ثم مال إلى الأمام ، وسأل فى لهفة وجشع :

- وبمناسبة الحديث عن الثراء .. هل أحضرت النقود معك .

لوّح ( ماكارثى ) بالحقيبة ، قائلاً :

- كل ما طلبته أيها الطماع .

قهقه ( ميرفى ) ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يمدّ يده إليه ، قائلاً :

- أعطنى إياها يا مستر ( ماكارثى ) .. دعنى أتمتع برائحتها ولونها الأخضر الجميل .



أبعد ( ماكارثى ) الحقيبة عن يده ، قائلاً فى صرامة :

- مهلاً .. الأمر ليس بهذه البساطة .

انعقد حاجبا الزنجى فى غضب ، وهو يهتف :

- لماذا ؟! ألم أحذركم من ذلك المصرى ؟!

قال ( ماكارثى ) فى صرامة :

- هذا لا يكفى .

رمق ( ميرفى ) الحقيبة بنظرة عصبية ، وهو يقول :

- ماذا تريد أيضًا ؟!

مال ( ماكارثى ) نحوه ، قائلاً :

- الولاء .

انعقد حاجبا الزنجى أكثر ، وهو يردد فى عصبية :

- الولاء ؟! ماذا تعنى ؟!

اعتدل ( ماكارثى ) ، مجيبًا بلهجة حازمة صارمة :

- إنه المطلب الرئيسى للسيدة .. أن تشعر بولائك لها .

حدّق ( ميرفى ) فى وجهه لحظة ، وكأنه لا يستوعب الأمر ، ثم لم يلبث أن هتف فى غضب شديد :

ـ الـولاء لمـن ؟! أنـا ( ميـرفـى ) .. المـلك ؟! يـا للسخافة ! .. ( ميرفى ) لا يدين بـالولاء سـوى لنفسه يا رجل .. أنا ملك الجريمة بـلا منـازع .. أنـت قلتها بنفسك .

صاح ( ماكارثى) ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجهه :

ـ بل أنت قلتها يا ( ميرفى ) .

هتف الزنجى بعصبية مفرطة :

ـ أنا ماذا ؟!

أجابه ( ماكارثى ) فى صرامة :

ـ أنت أعلنت أن السـيِّدة تفـوقك قـوة وسلطانًا ، عندما عرضت عليها خدماتك بمقابل .

لوّح ( الزنجى ) بيده ، هاتفًا :

ـ هذا لا يعنى شيئًا .. التعاون بين القـادة والملوك أمر طبيعى .. الكل يعطى ويأخذ .

اعتدل ( ماكارثى ) ، وشدّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ السيِّدة تعطى فحسب .

حدّق ( ميرفى ) فى وجهـه مرة أخرى ، ثم سأل فى حدة :



ـ ماذا تعنى كلماتك هذه ؟!

أجابه ( ماكارثى ) فى صرامة :

ـ مليونى دولار سنويًا .

لم يكد يأتى على ذكر المال ، حتى تلاشت عصبية ميرفى ) بغتة ، وانقضّ جشعه على ملامحـه كلهـا ، وهو يهتف :

ـ كم ؟!

ارتسـمت ابتسـامة ظـافرة ، على ركن شـفتى ( ماكارثى ) ، وهو يجيب :

ـ السـيِّدة تعـرض عليـك مليـونى دولار سنويًا ، مقابل إعلان ولائك الدائم لها .

سأله ( ميرفى ) :

ـ وما الذى تعنيه بإعلان الولاء هذا ؟!

أجابه ( ماكارثى ) فى حزم :

ـ أن تطيـع أوامـرهـا دون منـاقشـة ، وتنفـذ كـل ما تأمرك به ، وتنقل إليها كل ما تحصـل عليـه مـن معلومات أوّلاً فأولاً ، و ..

قاطعه ( ميرفى ) فى حدة :

ـ هراء .. هل تطلب منى التخلّى عن كل أعمالى ،

والتنازل عن مكانتى المتميِّزة فى عالمى ، من أجل مليونى دولار سنويًا ؟! هل تعلم كم أربح من عملى هذا يا رجل ؟!

أجابه ( ماكارثى ) فى صرامة :

ـ لم يطالبك أحد بالتخلى عن أعمالك ، أو التنازل عن مكانتك يا هذا .. كل ما سيحدث هو أنك ستضيف إلى دخلك مليونى دولار سنويًا ، مقابل تنفيذ ما تطلبه السيِّدة ، دون أن يعلم سوى ثلاثتنا حقيقة الأمر .. أضف إلى هذا كل ما سيفيدك به انتماؤك إلى السيِّدة ، بكل ما لها من نفوذ واتصالات .. وأموال أيضًا ..

ثم عاد يشدَ قامته ، مستطردًا :

ـ أمر أخير ، ينبغى أن أذكره .. السيِّدة اعتادت ألا تقدِّم عروضها سوى مرة واحدة .. فى عالمها لا يوجد ما يسمى بالفرصة الثانية ، ثم إنها تحب معرفة الأجوبة فورًا .. قل لى يا ( ميرفى ) : هل أخبرها أنك قد قبلت عرضها أم لا .

انعقد حاجبا الزنجى فى شدة ، وانقلبت شفته الغليظة على نحو عجيب ، وهو يرمق ( ماكارثى ) بنظرة غاضبة ، ثم أشاح بوجهه ، وأشعل سيجارة



قصيرة نفاذة الرائحة ، راح ينفث دخانها فى عصبية شديدة لبعض الوقت، وكأنما يدير الأمر كله فى رأسه، قبل أن يستدير إلى ( ماكارثى ) ، قائلاً فى توتر :

ـ أخبرها أننى أوافق .

اتسعت ابتسامة ( ماكارثى ) وهو يقول :

ـ كنت أعلم هذا .

ثم مد يده ليناوله حقيبة النقود ، فتابع الزنجى فى شراسة :

ـ ولكن مقابل مليونين ونصف .

انعقد حاجبا ( ماكارثى ) ، وهو يستعيد صرامته ، قائلاً :

ـ آه .. نسيت أن أخبرك أن السنيورا لا تساوم قط يا هذا .

بدا الغضب على وجه الزنجى ، وتطلَّع إلى الحقيبة فى توتر شديد، ثم لم يلبث أن اختطفها بحركة حادة ، قائلاً :

ـ فليكن ..

وغادر ( ماكارثى ) المكان ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة ظافرة كبيرة ..



بدا الغضب على وجه الزنجى ، وتطلَّع إلى الحقيبة فى توتر شديد . ثم لم يلبث أن اختطفها بحركة حادة ..

ها هو ذا عـالم جديد ، يقع بالكـامل تحت سيطرة السيِّدة ..

وكان هذا يعنى القوة ..

المزيد من القوة ..

* * *

مع طلقة الرصاص الأولى، تحرَّك (أدهم) كالفهد ..

كان كل رواد المطار منبطحون أرضًا منذ البدايـة ، فيما عداه ، ورجال الأمن ، وتلك المرأة ، التى اتخذها الإسرائيلى الضحم رهينة ودرعًا ..

ومع بدء إطلاق النار ، وسقوط رجال الأمن ، دفـع ( أدهم ) المرأة ، لتسقط أرضًا مع الآخرين ، قبل أن يلقى نفسه على الأرضية المصقولـة ، وينزلق فوقها فـى خفـة ، ورصاصات الإسرائيليين تلاحقـه ، حتـى اختطف المسدس ، الذى ألقاه منذ قليل ، وأدار يده ليطلق رصاصاته عليهم ، وجسـده مـا زال يواصل الانطلاق ..

وحصدت رصاصاته اثنين من الإسرائيليين الستة ، ومزَّقت ذراع ثالث ، و ...

ونفدت ..

نعم .. نفدت الرصاصات من مسدسه ، فى تلك اللحظة ، التى انقضَ فيها الإسرائيليون الثلاثة نحوه كالوحوش ، وهم يطلقون رصاصاتهم بلا توقُف ..

وأصبح الموقف كله مخيفًا بحق ..

ويحمل رائحة تزكم الأنوف ..

رائحة الموت ..

وبكل قوته ، ألقى ( أدهم ) المسدس الفارغ ، ورآه يضرب وجه أحد الرجال الثلاثة ويلقيه خلفًا فى عنف ، فى حين واصل الآخران اندفاعهما نحوه ..

وانطلقت رصاصات مدفعيهما كالمطر ، وهو يعدو بكل قوته ، محاولاً بلوغ أقرب حاجز من حواجز المنطقة الجمركية إليه ..

وبدا الأمر كله ، بالنسبة إليه ، أشبه بكابوس بشع ..

كان يعدو بكل قوته ..

والنيران تطارده بكل سرعتها ..

وتفجَرت الدماء من جزء من عنقه ..

ومن أعلى ساقه ..

وتدفقت فى غزارة ، من إصابة ذراعه اليسرى ...



ولكنه بلغ الحاجز أخيرًا ..

ووثب ..

ومع وثبته ، ارتطم سيل من الرصاصات بالحاجز ، وامتزج دوى الارتطام بصيحة ( سبيلمان ) الصارمة :

- لا تسمحوا له بالإفلات .. اقتلوه بأى ثمن ..

هتف به أحد الرجلين المتبقيين :

- الشرطة ستصل فى أية لحظة ، ولن يمكننا التراجع ..

صاح ( سبيلمان ) :

- فلتذهب الشرطة إلى الجحيم .. قلت : اقتلوه بأى ثمن .

ثم صرخ ، وهو يستل مسدسه بدوره :

- اقتلوه ..

انطلقت صرخته ، وهو يعدو بكل سرعة ، نحو ذلك الحاجز ، الذى يختفى خلفه ( أدهم ) ، وراح يطلق رصاصاته عليه ، فى شراسة ..

وكرد فعل تلقائى ، لحق به مساعداه ..

وانطلقت صرخات أكثر عنفًا فى المكان ، مع دوى الرصاصات الهادر ..

وسالت الدماء على عنق ( أدهم ) ، وصدره ، وساقه ..

وفى رأسه ، انطلقت فكرة واحدة تؤرقه ..

لا يمكن أن يستسلم أبدًا ..

لا يمكن أن يسمح للإسرائيليين بهزيمته ، فى هذه المرحلة بالذات ..

لابد أن يقاوم ويقاتل ..

حتى آخر قطرة دم ..

لا ينبغى أن يتخلَّى بهذه البساطة عن محاولته لإنقاذ نيل ( مصر ) الثانى ..

نيل الفضاء ..

نايل سات ..

وبكل إرادته ..

وبما تبقَّى من قوته ..

ومتجاهلاً كل ما يتدفَّق من جسده من دماء ، حمل ( أدهم ) ذلك الحاجز ، الذى يحتمى به ، ونهض على قدميه ، وتحامل على ساقه المصابة ، وأطلق صرخة قتالية هادرة ..

ثم انقضَّ على مهاجميه كالليث ..



وتوقَّف ( سبيلمان ) ورجلاه بدهشة ، ثم راحوا يتراجعون فى سرعة ، والأوَّل يصرخ فى حدة :

- واصلوا إطلاق النار .. اضربوا الساقين ..

وعاد الرجلان يطلقان النار ..

ودوى صوت ارتطام الرصاصات بالحاجز ، ممتزجًا بصيحة ( أدهم ) القتالية المتصلة ، وهو ينقضّ عليهم ، وقدماه تتحركان فى سرعة ، على نحو يجعل إصابتهما عسيرة للغاية ..

ثم ارتطم بالإسرائيليين فى عنف ، ورئيسهما ( سبيلمان ) يعدو مبتعدًا ..

ومع عنف الارتطام، اندفع أحد الرجلين إلى الخلف، وسقط يرتطم بالأرض فى عنف ، وينقلب على نحو عجيب ، فى حين حاول الثانى أن يتماسك ، لولا أن هوت على فكه لكمة كالقنبلة ، أطاحت به مترين إلى الخلف ، ليسقط على الأرض كالحجر ..

واستدار ( أدهم ) ليواجه ( سبيلمان ) ، و ...

وانطلقت رصاصة هذا الأخير ، فى اللحظة ذاتها ..

وشعر ( أدهم ) بكتفه اليسرى تتمزَّق ، وبجسده يرتدّ فى عنف إلى الخلف ، ويرتطم بجدار القاعة ، قبل أن يسقط أرضًا فى قوة ..

وتدفقت الدماء من جرحه فى عنف ..

ولكنه لم يستسلم ..

لقد قاوم فى استماتة ، ودفع يده اليمنى فى الأرض بقوة ..

أو بما تبقى به من قوة ..

ورفع رأسه إلى أعلى ، و ...

« انتهى الأمر أيها الأسطورة .. » .

وارتطمت عينا ( أدهم ) بعينى ( سبيلمان ) المتألقتين ، وهو يستطرد فى ظفر شامت ، مفعم بالانفعال :

ـ خسرت هذه المرة ، على يد ( رون سبيلمان ) أفضل رجل مخابرات .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، على الرغم من آلامه ، والدماء التى تتدفق من جراحه فى غزارة ، وقال ، وهو يحاول النهوض :

ـ فى السينما الهزلية أم فى عالم الواقع .

ركله ( سبيلمان ) بكل قوته فى وجهه ، صارخًا :

ـ بل فى هذه اللحظة أيها المتحذلق .

كانت الركلة من القوة ، حتى إنها أدارت رأس



( أدهم ) فى عنف ، إلا أنها لم تفقده وعيه ، أو إرادته الفولاذية ، فاندفعت يده تقبض على قدم ( سبيلمان ) بأصابع من فولاذ ، وجذبها فى عنف ، اختلّ معه توازن هذا الأخير ، فسقط على ظهره فى قوة ، و ( أدهم ) يقول فى سخرية :

ـ عجبًا ! .. أيسهل إسقاط أفضل رجل مخابرات ، على هذا النحو ؟

رفع ( سبيلمان ) مسدسه ، إلى وجه ( أدهم ) ، على الرغم من سقوطه ، وهتف فى صرامة غاضبة :

ـ العبرة بالنهاية أيها المصرى .

ثم ضغط زناد مسدسه ، مضيفًا فى حدة :

ـ نهايتك .

ودوت الرصاصة ، فى صالة الوصول بمطار ( لارناكا ) .

الرصاصة الأخيرة .

* * *

# ٧ ـ عبـر المحيـط..

ارتسم الذعر بكل ملامحه ، على وجه مديرة كلية ( بن جوريون ) للناشئين وسكرتيرتها ، وهما تحدقان فى وجه رجل المخابرات الإسرائيلى ، الذى انتزعهما من فراشيهما ، فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وهتفت الأولى فى رعب :

ـ ولكن زميلك هو الذى لم يعد لاستلام المعلومات يا سيِّدى .. لقد أبدينا كل التعاون ، وحصلنا على ما ينبغى ، و ...

قاطعها مساعد ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

ـ هل تأكَّدت أوَّلاً من أنه أحد ضباطنا ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ لقد أطلعنى على هويته .

قال فى حدة :

ـ وهل سبق لك رؤية مثلها ؟!

اتسعت عيناها فى هلع ، وهى تقول :

ـ مطلقًا ، ولكننى افترضت أن ...



كانت مذعورة للغاية ، وجاهلة تمامًا بكل قواعد الحيطة والأمن ، حتى إنه شعر بالضجر لمناقشتها ، فقاطعها فى صرامة :

ـ وأين تلك المعلومات ؟!

ناولته السكرتيرة ورقة صغيرة بأصابع مرتجفة ، فألقى نظرة طويلة عليها ، قبل أن يهتف فى سخط مستنكر :

ـ ما هذا بالضبط ؟! إنها قائمة تحوى ثلاثة أسماء .

ارتجف صوت السكرتيرة فى شدة ، وهى تتمتم :

ـ بالضبط .

هتف فى حدة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

انتفض كل جزء فى جسد المديرة ، وهى تشير إلى الورقة ، قائلة :

ـ هذا ما طلبه منا .

حدَّق الإسرائيلى فى الورقة ، مرددًا فى دهشة :

ـ ما طلبه ؟!

أجابته السكرتيرة فى ذعر :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد طلب منا البحث بين طلابنا عن طفل ثرى ، يقيم فى القسم الداخلى ، و ...

راحت تلقى على مسامعه كل ما طلبه ( أدهم ) ، وهو يستمع إليها فى دهشة بالغة ، حتى انتهت من حديثها ، فتمتم فى حيرة :

ـ طفل ؟! ( أدهم صبرى ) بقى هنا ، من أجل طفل ؟! أى طفل هذا ، الذى يستحق منه مجازفة كهذه ؟!

سألته المديرة فى حيرة متوترة :

ـ ماذا تقول يا سيِّدى ؟!

فهتف فيها فى غضب :

ـ ليس هذا من شأنك .

ثم دسَّ الورقة فى جيبه، وهو يضيف فى صرامة :

ـ ما حدث الآن لم يحدث .. أعنى أنه من الناحية الرسمية ، لم يأت أحد إلى هنا ، ولم تكن لكما أية علاقة بجهاز مخابراتنا .. هل تفهمان ؟!

حدَّقت السكرتيرة فى وجهه بشحوب ، وقد عجز لسانها عن النطق ، فى حين غمغمت المديرة ، وكل حرف من حروف كلماتها يرتجف على لسانها :

ـ صدقنى يا سيِّدى .. هذا أفضل لنا .. لو أنكم ستنسون الأمر بدوركم .



رمقها بنظرة صارمة ، دون أن يجيب ، ثم استدار يغادر المكان ، فى خطوات عاصفة سريعة ، فاتسعت عينا المرأتان فى هلع ، حتى انطلق بسيارته ..

وهنا .. هنا فقط ، هتفت السكرتيرة :

ـ كدت أموت ذعرًا .

أما المديرة ، فقد تركت جسدها يسقط على مقعدها ، هاتفة :

ـ أما أنا فيخيَّل إلىَّ أننى قد مت بالفعل .

مرَّت بها بضع لحظات من الصمت ، قبل أن تتساءل السكرتيرة فى حذر متوتر :

ـ ولكن ماذا لو عاد أدون ( موراى ) ، وطلب المعلومات التى ...

قاطعتها المديرة فى حدة :

ـ أدون ( موراى ) ؟!

ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تضيف :

ـ أنا لم أسمع هذا الاسم من قبل قط .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان مساعد ( ديلشمسكى ) ينطلق بسيارته ، عائدًا إلى مكتبه ، وإن لم يتوقف عقله لحظة واحدة ، عن طرح ذلك التساؤل على نفسه ..

أى طفل هذا ، الذى يجازف ( أدهم صبرى ) من أجله ، على هذا النحو ؟!

أى طفل ؟!

ولأنه اعتاد لعب دور الرجل الثانى ، فقد التقط هاتفه المحمول من جيبه ، وطلب رقم هاتف الطائرة الخاصة ، التى تنطلق بـ ( ديلشمسكى) عبر المحيط ، ولم يكد يسمع صوت هذا الأخير ، حتى قال :

- أدون ( ديلشمسكى ) .. لقد توصلت إلى ما كان ( أدهم ) يسعى خلفه ، ولكن ..

قاطعه ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

- لا أريد لكن يا رجل .. هل حصلت على المعلومات أم لا ؟!

أجابه مساعده فى سرعة :

- بل حصلت عليها يا أدون ( ديلشمسكى ) .

سأله ( ديلشمسكى ) فى حدة :

- أين هى إذن ؟!

أخبره الرجل كل ما حصل عليه ، من مديرة المدرسة وسكرتيرتها ، فانعقد حاجبا ( ديلشمسكى) ، وهو يتساءل بدوره :



- كل هذا من أجل طفل ؟!

قال مساعده فى توتر :

- هذا نفس ما سألت عقلى عنه يا أدون ( ديلشمسكى ) ! من العجيب حقًا أن يكون هذا ما يسعى إليه بالفعل ، إلا إذا كانت محاولة تمويه ؛ لإخفاء هدف آخر .

أجابه ( ديلشمسكى ) فى عصبية :

- ولماذا التمويه ؟! إن أحدًا لم يكن يعلم بوجوده فى ( إسرائيل ) .. حتى أنا التقيته مصادفة ، ولولا هذا لحصل على ما يبتغى .

سأله مساعده فى دهشة :

- هل تعتقد إذن أن ذلك الطفل هو هدفه الحقيقى يا سيدى ؟!

ازداد انعقاد حاجبى ( ديلشمسكى ) ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- امنحنى فرصة للتفكير ، وسأتصل بك لاحقًا .

وأنهى الاتصال، وهو يحاول الاسترخاء فى مقعده ، متسائلًا : أهذا بالفعل هو الهدف الحقيقى ، لبقاء ( أدهم ) فى قلب ( إسرائيل ) ..

إن ( أدهم ) ، كرجل مخابرات محنَّك ، وخبير فى الصراع العربى الإسرائيلى ، يدرك جيِّدًا أن البقاء فى أرض العدو يحمل قدرًا هائلاً من المجازفة والخطر ..

وربما بلا حدود ..

فهل من الممكن أن يواجه كل هذا ، من أجل طفل واحد ؟!

أى طفل هذا ، الذى يمكن أن يضحى المرء بحياته من أجله ؟!

لا يمكن أن يفعل المرء هذا ، إلا من أجل ابنه ، أو .....

وبرقت عينا ( ديلشمسكى ) فى قوة ، والكلمة الأخيرة تتردَّد فى رأسه بعنف ..

ابنه ..

الطفل الوحيد ، الذى يمكن أن يجازف المرء بحياته من أجله هو ابنه ..

فقط ابنه ..

وبسرعة مدهشة، راح عقله يراجع كل المعلومات، التى قرأها فى حياته كلها عن ( أدهم صبرى ) ..

حياته ..



صراعاته ..

مواجهاته ..

انتصاراته ..

ثم توقَّف عقله عند نقطة بعينها ، أشارت إليها الوثائق باعتبارها شائعة غير مؤكَّدة ، أو مؤيَّدة بأية أدلة مادية ..

شائعة تقول : إن ( أدهم صبرى ) قد تزوَّج يومًا من عدوته اللدودة ، وضابطة ( الموساد ) السابقة ( سونيا جراهام )(*) ..

وأنهما قد أنجبا ابنًا(**) ..

ابنًا واحدًا ، تصوَّر الجميع أنه قد لقى مصرعه مع أمه ، مع انفجار جزيرتها ، فى قلب المحيط الأطلنطى يومًا ، فى أثناء مواجهة عنيفة لها ، مع ( أدهم صبرى ) نفسه(***) ..

تلك الشائعة لم تلق قبولاً من أحد المحللين قديمًا

---

(*) راجع قصة ( الرجل الآخر ) .. المغامرة رقم (٨١)

(**) راجع قصة ( جزيرة الجحيم ) .. المغامرة رقم (٨٤)

(***) راجع قصة ( الضربة القاصمة ) .. المغامرة رقم (١٠٠)

قط ؛ لأن أحدًا لم يجد مبررًا منطقيًا واحدًا ، يدفع ( أدهم صبرى ) إلى الزواج من ( سونيا جراهام ) !!

ولكن ماذا لو أن هذا قد حدث بالفعل ؟!

ماذا لو أنهما قد أنجبا ابنًا ؟!

ابن ( أدهم صبرى ) ..

الوحيد ..

الابن ، الذى تصوّر الجميع ، بمن فيهم ( أدهم صبرى ) نفسه ، أنه لقى مصرعه مع ( سونيا ) ..

ولكن ( سونيا ) لم تمت ..

هذا ما يعلمه جيدًا ..

وما يعنى أن ابنها لم يمت أيضًا ..

ابنها ، وابن ( أدهم ) ..

أى مكان ستجده ، فى هذه الحالة ، أفضل من ( إسرائيل ) لتنشئة ابنها ؟!

أى مكان ، بخلاف ( إسرائيل ) ، يمكن أن يزرع فى نفسه العقائد اليهودية ، والنزعة الصهيونية ؟!

ثم إن هذا الطفل إسرائيلى الجنسية، بحكم القانون،



حتى ولو كان والده هو ( أدهم صبرى ) نفسه(*) .

ويالها من مفارقة عجيبة !

( أدهم صبرى ) ، أسطورة المخابرات المصرية ، ينجب ابنًا إسرائيليًا !!

يا للمهزلة !!

وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ..

نعم .. هذا هو المنطق الوحيد للأحداث ..

هذا هو الطفل الوحيد، الذى يمكن أن يفعل ( أدهم ) هذا من أجله ..

وبسرعة ، اختطف سمّاعة هاتف الطائرة ، وطلب رقم مساعده ، ولم يكد يسمع صوته ، على الجانب الآخر للخط ، حتى قال فى حزم :

ـ أنا ( ديلشمسكى ) .. اسمعنى جيدًا يا رجل .. تلك المعلومة ، التى حصلت عليها من كلية ( بن جوريون ) ، أكثر أهمية وخطورة مما كنا نتصوّر ..

---

(*) القانون الإسرائيلى يمنح الجنسية لكل من وُلد لأم يهودية، أو إسرائيلية ، بغض النظر عن جنسية الوالد أو ديانته ، ولا يمنح الجنسية لابن الإسرائيلى ، لو أن أمه غير يهودية .

إنهــا الســلاح ، الذى سيضمن لنــا الانتصــار علــى ( أدهم صبرى ) .. إلى الأبد .

نطقها ، وعيناه تتألقان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

ارتفعت أصوات أبواق سيارات الشرطة ، فى نفـس اللحظـة التـى صوَّب فيهـا ( سبيلمان ) مسدسـه إلـى رأس ( أدهم ) ..

ولكن هذا الأخير لم يبال ، فالأصوات كانت تعنى أن الشرطة ما زالت بعيدة بما يكفى ..

وتحرَّكت سبَّابته ؛ لتضغط زناد مسدسه ..

وذوت الرصاصة ..

ومع دويها ، جحظت عينا ( سبيلمان ) ، واتسعتا عن آخرهما ، وأطلَّ منهما ذهول متألم مذعـور ، قبل أن تتفجَّر الدماء من بين شفتيه ، وينتفض جسده فـى عنف ..

ومن بعيد ، التقطت عينـا ( أدهـم ) امرأة ، تعدو نحـوه بكل قوتهـا ، مرتدية سروالاً مـن ( البلوجينز )



الأزرق ، وسترة من الجلد، وتحمل فى يدها مسدسًـا ، ما زال الدخان يتصاعد من فوهته ..

وفى دهشة ، هتف ( أدهم ) :

ـ ( راشيل ) ؟!

بلغتـه ( ناديـة ) بقفزتين رشـيقتين ، ومـدَّت يدهـا إليه ، تساعده على النهـوض ، وهى تقول بابتسـامة متوترة :

ـ دعنـى أقدِّم نفسـى .. ( ناديـة سيف الديـن ) .. كنت أرغب فى مزيد من التحدُّث عن نفسـى ، ولكن لست أعتقد أن لدينا ما يكفى من الوقت لهذا .

سألها فى اهتمام ، وهو ينهض دون مساعدتها :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟!

انعقد حاجباها فى توتر بالغ ، وهى تجرى ببصرهـا علـى جروحـه المتعدِّدة ، والدمـاء التـى تغرق معظـم جسده ، وهتفت :

ـ ربـَّاه ! أأنت بخير ؟!

أجابها ، وأصوات أبـواق سيارات الشـرطة تقترب أكثر وأكثر :

ـ يمكننى أن أحتمل هذا .



بلغته ( نادية ) بقفزتين رشيقتين ، ومدَّت يدها إليه ، تساعده على النهوض ..

سألته فى توتر أكثر :

ـ وهل يمكنك أن تعدو ؟!

كانت الدماء تنزف من إصابة ساقه ، ولكنه أجاب فى حزم :

ـ بالتأكيد .

دارت على عقبيها ، وهى تهتف :

ـ هيَّا بنا إذن .

انطلق يعدو إلى جوارها ، وهو يسألها :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟!

هتفت ، وهى تعدو بكل قوتها :

ـ الإدارة رأت أننى أصلح للعب دور سائقتك الخاصة .

سألها ، وهما يتجهان نحو ممر الإقلاع :

ـ وما المفترض أن يعنيه هذا بالضبط ؟!

هتفت، وهى تشير إلى طائرة صغيرة ذات محركين، تستقر على الممر :

ـ لقد قدتها إلى هنا ؛ لالتقاطك .

تألَّقت عيناه ، وهو يسأل :

ـ مصرية ؟!

أجابته لاهثة :

- بالتأكيد .

كان الاضطراب والفوضى ، اللذين نشئا عن إطلاق النيران ، قد أتاح لهما بلوغ ممر الإقلاع ، إلا أن طاقم الأمن لم يلبث أن رصدهما ، فانطلقت خلفهما واحدة من سياراته ، وهما يعدوان نحو الطائرة ، وهتف قائدها ، عبر مكبِّر صوتى :

- إنذار .. أنتما داخل منطقة أمنية محظورة .. توقفا واستسلما فورًا ، وإلا سنطلق النار مباشرة .. هذا إنذار أخير .

تجاهل الاثنان الإنذار ، وهما يواصلان انطلاقهما نحو الطائرة ، فهتف قائد المطاردة فى غضب عصبى:

- فليكن .. أنتما أردتما هذا .

انطلقت الرصاصات خلفهما ، وهما يقطعان الأمتار الأخيرة ، التى تفصلهما عن الطائرة ..

كان ( أدهم ) مصابًا بشدة ، كما أن الدماء التى فقدها ، جعلت رأسه يدور بشدة ، حتى إن كل شىء بدا أمامه كالحلم ..

ولكن يبدو أننا لا نحيا فى دنيانا بالوعى وحده ..



فمع مرور الوقت ، وانغماس المرء حتى أذنيه فى حياة شاقة عنيفة كهذه ، يجرع فيها الخطر فى كل لحظة ، تتحوَّل تصرفاته ، فى بعض الأحيان ، إلى نوع من الآلية اللاواعية ..

تمامًا كما يحدث فى الحروب ، عندما يتواصل القتال لفترات طويلة للغاية ..

فالمقاتل عندئذ يفقد شعوره ، من فرط التعب والإرهاق ..

ولكنه يواصل القتال ..

كل ما تعلَّمه وخبره يتحوَّل - عندئذ - إلى غريزة قتالية دقيقة ..

بل وربما أدق من عقله الواعى نفسه ..

وهذا - تقريبًا - ما حدث مع ( أدهم صبرى ) ..

لقد واصل انطلاقه نحو الطائرة ، كما لو أن مشاعره كلها قد تلاشت ، ووثب إليها وثبة مدهشة ، على الرغم من كل إصاباته ، واحتلَّ مقعد قيادتها ، وأدار محركها ، و ( نادية ) تثب إلى جواره ، وصوت ارتطام الرصاصات بجسمها يتردَّد فى أذنيه كدوى آلاف القنابل ..

وفى غضب ، هتف قائد فريق المطاردة :

ـ لا تسمحوا لهما بالإقلاع .

ومع آخر حروف هتافه ، ظهرت سيارة أخرى ، اندفعت بدورها نحو الطائرة ، ورجالها يطلقون النار ..

وهتفت ( نادية ) :

ـ رباه ! لن نفلح أبدًا .

انعقد حاجبا ( أدهم ) فى صرامة ، واستنفر كل قوته وإرادته ، وهو يغمغم :

ـ سنفعلها بإذن الله ( سبحانه وتعالى ) .

وانطلق بالطائرة ..

وصرخ قائد فريق المطاردة :

ـ أطلقوا النار .. امنعوهما بأى ثمن ..

وانحرفت السيارة الثانية فى حركة حادة ، لتعترض طريق الطائرة ، التى اندفعت على ممر الإقلاع ..

ودوت الرصاصات أكثر وأكثر ..

وتلاشت مشاعر ( أدهم ) كلها ، وحاجباه يلتقيان أكثر وأكثر ..

وصاحت ( نادية ) ، وهما يندفعان نحو سيارة الأمن مباشرة :



ـ لن نفلح .. لن نفلح ..

ولكن ( أدهم ) زاد من سرعة الطائرة ، ورأى الرصاصات ترتطم بزجاجها المصفح ، وتصنع به بقعًا صغيرة ..

وصرخ قائد فريق المطاردة ، بكل غضبه وثورته :

ـ أوقفوهما .. لا تسمحوا لهما بالفرار أبدًا ..

وجذب ( أدهم ) مقود الطائرة إليه ..

ودارت أطراف الأجنحة ..

وانطلقت الرصاصات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وراحت المسافة بين الطائرة وسيارة الأمن تقلّ ..

وتقلّ ..

وتقلّ ..

وصرخت ( نادية ) مرة أخرى :

ـ لن نفلح .

ولكن الطائرة ارتفعت ..

واتسعت عيون ركاب سيارة الأمن ، عندما اندفعت إطاراتها نحوهم ..

وانخفضت رءوسهم فى ذعر ..

وارتفعت الطائرة أكثر ..

وأكثر ..

ثم حلقت فى الهواء كنسر عملاق ..

واتسعت عينا ( نادية ) فى انبهار ، وهى تهتف :

ـ ربَاه ! لقد فعلتها .

ثم التفتت إلى ( أدهم ) ، مكرِّرة بفرحة غامرة :

ـ لقد فعلتها .. لقد .....

وبترت عبارتها بغتة ، وهى تحدِّق فيه بدهشة بالغة ..

فعلى الرغم من انعقاد حاجبيه، ونظراته الصارمة ، وأصابعه التى تسيطر على مقود الطائرة فى قوة ، وتنطلق بها فى مهارة ، بدا لها ( أدهم ) وكأنما خلا جسده من الحياة ..

تمامًا ..

وعندما انخفضت عيناها إلى ما تحت مقعد القيادة ، انطلقت من حلقها شهقة ..

فهناك ، حول قدميه ، كانت هناك بركة من الدماء الساخنة ..

دمائه ..

★ ★ ★



أوقف ( ماكارثى ) سيارته ، أمام باب ذلك المخزن الضخم ، بالقرب من ميناء ( نيويورك ) ، وأضاء مصباحها مرتين ، فانفتح الباب الضخم فى بطء ، وظهر على عتبته عملاقان يحملان مدفعين آليين كبيرين ، أشار أحدهما بيده ، قائلاً بصوت خشن أجش :

ـ مرحبًا يا مستر ( ماكارثى ) .

سأله ( ماكارثى ) ، وهو يعبر الباب بسيارته :

ـ هل عادت السيِّدة من رحلتها ؟!

هزَّ العملاق رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ ليس بعد .

أوقف ( ماكارثى ) سيارته داخل المخزن الكبير ، وأغلق العملاقان بابه خلفه ، ثم أضيئت الأنوار ، وهو يغادر السيارة ، ويتجه إلى سلم من المعدن ، يقود إلى الطابق العلوى ، وهو يقول :

ـ سأذهب للنوم .. أيقظانى فور قدوم السيِّدة .

أجابه أحد العملاقين فى اقتضاب :

ـ سنفعل .

صعد ( ماكارثى ) إلى الطابق الثانى ، الذى بدا شديد الاختلاف عن الطابق الأوّل ، الذى يبدو كمخزن بضائع تقليدى ، من تلك المنتشرة حول ميناء ( نيويورك ) ..

فالطابق الثانى كان عبارة عن شقة فاخرة ، تحوى صالة انتظار ، وحجرة مكتب بالغة الأناقة ، وحمام كبير ، وحجرتى نوم، اتجه ( ماكارثى) إلى إحداهما ، وهو يحلّ رباط عنقه ، ويغمغم :

ـ يا له من يوم مرهق ، بدأ بالأعمال التقليدية ، ثم حادثة المطار ، و ...

« ولقاؤك بالوغد ( ميرفى ) .. »

انتفض ( ماكارثى ) فى عنف ، عندما اخترقت هذه العبارة الاعتراضية أذنيه بغتة ، وقفزت يده إلى مسدسه ، المعلّق تحت إبطه ، ولكن قبل أن تبلغه أصابعه ، أضىء مصباح الحجرة بغتة ، وبدت له فوهة مسدس قوى ، مصوبة إلى رأسه مباشرة وصاحبها يقول فى صرامة ، تحوى نبرة ساخرة :

ـ حذار أن تلمسه يا هذا ، فمن المؤكد أن رصاصتى ستسبق يدك ، وتنسف رأسك ، قبل أن تدور أصابعك حول مقبضه .



اتسعت عينا ( ماكارثى ) فى ذهول ، وهو يحدّق فى ( نادر ) ، هاتفًا :

ـ أنت ؟!

نهض ( نادر ) من مكانه ، ومدّ يده ينتزع مسدس ( ماكارثى ) ، ويلقيه جانبًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ نعم .. هو أنا .. نفس الرجل الذى التقيته ظهر اليوم .. أظن ذاكرتك لم تفقد صورتى بعد .

حدّق ( ماكارثى ) فيه لحظة بذهول ، ثم لم يلبث هذا الذهول أن تحوّل إلى غضب عصبى ، وهو يقول فى حدة :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟!

هزّ ( نادر ) كتفيه ، قائلاً :

ـ لم يكن هذا بالأمر العسير .

ثم ابتسم فى سخرية ، مضيفًا :

ـ كما لا بد أنك تعلم ، يا رجل المخابرات السابق .

انعقد حاجبا ( ماكارثى ) فى غضب ، وهو يقول :

ـ آه .. لقد قمت بتحرياتك إذن .

أجابه ( نادر ) فى هدوء :

ـ أمر طبيعى فى عالمنا يا رجل ، وأنت خير من

يدرك هذا .. لقد اقتحمت أمورنا، ودسست أنفك فيها، واختطفت زميلتى المقعدة ، ولابد والحال هكذا أن نسعى خلفك ، وخلف من تعمل لحسابهم ، بعد أن تم فصلك من المخابرات المركزية الأمريكية ، إثر واقعة الرشوة الشهيرة ، التى كشفتها تحرياتنا السريعة .

سأله ( ماكارثى ) فى عصبية :

ـ وكيف قادتكم تحرياتكم السريعة هذه إلى هذا المكان ؟!

ابتسم ( نادر ) ، قائلاً :

ـ تحرياتنا لم تفعل هذا .. أنت فعلته .

هتف ( ماكارثى ) مستنكرًا :

ـ أنا ؟!

لوَّح ( نادر ) بيده ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنت قدتنا إلى هنا ، عندما ذهبت لمقابلة ذلك الوغد ( ميرفى ) .

انعقد حاجبا ( ماكارثى ) فى شدة ، و ( نادر ) يتابع :

ـ هل تصوَّرتنا حمقى ، إلى الحد الذى يدفعنا إلى التعامل مع مجرم حقير مثل ( ميرفى ) ؟! إننا نعلم



منذ البداية استحالة كونه أهلاً للثقة ؛ فالمجرمون أمثاله لا يمكنك ضمان ولائهم قط .. إنهم سيبيعونك لأوَّل من يدفع قرشًا زائدًا .. وبالنسبة لشخص مثله ، كان من الطبيعى أن يسعى للإفادة بما لديه من معلومات ، إلى أقصى حد ممكن ، وكان هذا يعنى أن يجرى اتصالاته بكم على الفور ، وأنكم سترسلون من يتفاوض معه ، نظرًا لأنه لن يقبل المجىء إليكم أبدًا .

غمغم ( ماكارثى ) فى غضب ساخط :

ـ كان فخًا إذن .

أومأ ( نادر ) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ ووقعتم فيه كالسذج .

عضَّ ( ماكارثى ) شفته السفلى فى غضب ، واحتقن وجهه ، مع شعوره بالسخط والمرارة ، لنجاح المصريين فى خداعه ، فى حين عاد ( نادر ) يجلس على ذلك المقعد المجاور للفراش ، ويرفع ساقيه فوق مقعد آخر ، وهو يصوِّب مسدسه إلى ( ماكارثى ) ، قائلاً بلهجة شديدة الصرامة :

ـ والآن أيها الوغد .. أين زميلتى ( جيهان ) ؟!

عضَّ ( ماكارثى ) شفته مرة أخرى ، وقال فى عصبية :

- لست أدرى .

جذب ( نادر ) إبرة مسدسه ، وهو يقول بصرامة أكثر :

- هل تحتاج إلى ما يذكرك ؟! رصاصة فى ساقك مثلاً .

أجابه ( ماكارثى ) فى حدة :

- لن يفيد هذا ، حتى ولو نسفت رأسى نفسه ؛ لأننى لا أعلم بالفعل أين زميلتك الآن :

انعقد حاجبا ( نادر ) ، فى غضب هادر ، وهو يقول :

- يبدو أنك تستحق رصاصة فى ساقك بالفعل .

قال ( ماكارثى ) فى سرعة :

- أقسم لك إننى أجهل أين زميلتك الآن .

سأله ( نادر ) فى توتر :

- ماذا تعنى ؟!

لوّح ( ماكارثى ) بذراعيه ، مجيبًا فى حدة :

- السيِّدة ، التى أعمل لحسابها، لا يقتصر نفوذها ، ولا تقتصر عملياتها ، على ( نيويورك ) ، أو حتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها .. إنها واسعة



النفوذ والاتصالات إلى حد مخيف .. إننا نجهل حتى لماذا اختطفت زميلتك ، ولا ما الذى ستفعله بامرأة كسيحة مثلها !! لقد نفذنا أوامرها فحسب ، واحتفظنا بزميلتك بضع ساعات ، قبل أن تحملها السيِّدة معها فى رحلتها الأخيرة .

سأله ( نادر ) فى صرامة :

- إلى أين ؟!

تحرك ( ماكارثى ) فى عصبية ، وهو يجيب :

- لا أحد يدرى .. السيِّدة لا تعلن وجهتها قط .. حتى قائد طائرتها الخاص لا يدرى إلى أين ستذهب فى كل مرة .. إنه يتلقَّى الأوامر فى مظروف مغلق ، غير مصرَّح له بفتحه ، إلا بعد أن تصبح الطائرة فى الجو فعلاً .

غمغم ( نادر ) :

- يبدو أنها سيِّدة حذرة للغاية .

هتف ( ماكارثى) ، وهو يواصل تحركاته العصبية :

- أكثر مما تتصوَّر .. هل تعلم ما الذى فعلته ، فى المرة الأخيرة ؟!

أجابه ( نادر ) فى اهتمام :

ـ يهمنى كثيرًا أن أعلم .

قال ( ماكارثى ) فى صرامة مباغتة :

ـ هكذا ..

ومع قوله ، وثب وثبة مدهشة ، التقط خلالها مسدسه ، واستدار فى سرعة كبيرة ..

ودوت الرصاصات، فى الطابق الثانى من المخزن.. بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

« لقد غادرنا المجال الجوى لجزيرة ( قبرص ) بالفعل .. »

غمغمت ( نادية ) بالعبارة ، وهى تتطلع إلى ( أدهم ) فى قلق شديد ، بعد أن واصل الانطلاق بالطائرة فى آليه عجيبة طوال الوقت ، منذ غادرا مطار ( لارناكا ) ..

وحتى مع عبارتها هذه ، لم يتغيّر موقفه قط ..

بل ولم يبد حتى أنه قد سمعها ..

لذا ، فقد مالت نحوه ، تسأله فى قلق بالغ :

ـ ( أدهم ) .. أأنت بخير ؟!

لم يجب ، فى هذه المرة أيضًا ، فهزّت كتفه ، هاتفة :



ـ ( أدهم ) !

بدا لها وكأنه يستيقظ من حلم عميق ، وهو يلتفت إليها ، متسائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

لم تكد عيناها ترتطمان بوجهه ، حتى اتسعتا فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !

فقد كان وجهه شاحبًا ممتقعًا على نحو مخيف ، وعيناه زائغتين ، وكأنما ..

وكأنما يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

وبكل توتر الدنيا ، مالت ( نادية ) تضغط أحد أزرار القيادة ، فهتف بها فى عصبية :

ـ ماذا تفعلين ؟!

أجابته ، محاولة تهدئته :

ـ لا تقلق .. إننى أقوم بتشغيل الطيّار الآلى فحسب.. يمكنك أن تتخلى عن عجلة القيادة الآن ..

قال فى عصبية :

ـ لا بد من ضبط الإحداثيات أولاً ..

أمسكت يده فى رفق ، لتبعدها عن عجلة القيادة ، وهى تقول :

- إنها مضبوطة ، منذ غادرت ( القاهرة ) .. سينطلق بنا الطيَّار الآلى مباشرة إلى ( دبلن ) فى ( أيرلندا ) ..

غمغم ، وهو يقاوم إرهاقه الشديد :

- ( دبلن ) ؟!

أجابته فى خفوت مشفق :

- ليس إلى ( دبلن ) مباشرة .. سنهبط فى مطار خاص ، على بعد عشرة كيلو مترات منها ، وهناك ستنتظرنا طائرة أكبر حجمًا ، مع طاقم خاص ، سيحملنا إلى حيث تخبره المخابرات المصرية .

أسبل جفنيه فى تهالك ، متمتمًا :

- المهم أن نصل فى الوقت المناسب .

حدَّقت فى الدماء الغزيرة ، التى تغمر ثيابه ، وهى تقول بصوت مرتجف :

- بل المهم أن نصل أحياء .

ثم استطردت فى جزع حقيقى :

- رباه ! لقد فقدت الكثير جدًّا من دمائك ، وهناك رصاصتان على الأقل ، تستقران فى جسدك .. لن يمكنك أبدًا أن تواصل على هذا النحو .



قال فى حزم مجهد :

- قمرنا فى خطر .

أجابته ، وهى تقوده فى رفق إلى مقعدين كبيرين ، فى مؤخرة الطائرة :

- أمامنا اثنتا عشرة ساعة ، قبل أن نصل إلى الهدف ، وليس لدينا فى الوقت ذاته سوى الإسعافات الأوليَّة البسيطة .. قد يمكننى إيقاف النزيف ، ولكننى لن أستطيع أن استخرج الرصاصتين ، أو أعوِّضك ما فقدته من الدماء .

كان يقاوم غيبوبة عنيفة ، تهاجمه فى شراسة وإصرار ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سألها :

- ألدينا أيَّة عصائر أو مشروبات ؟!

أجابته ، وهى تكاد تبكى :

- بالتأكيد .

لوَّح بسبَّابته ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يمكنه تعويض الدماء المفقودة نسبيًا ، حتى نصل إلى ( دبلن ) على الأقل .. كم أمامنا من الوقت لتفعل ؟!

أجابته ، وهى تلتقط حقيبة الإسعافات الأوليَّة ، فى توتر بالغ :

- ست ساعات تقريبًا .

مطَّ شفتيه ، ثم ابتسم ابتسامة شاحبة كوجهه ، مغمغمًا :

- لست أعتقد الوقت يكفى لـ ..

تجمَّدت ابتسامته فجأة ، فاتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :

- لا .. لاتستسلم الآن .

ولكن جفنيه سقطا على عينيه ، فى نفس اللحظة التى تراخت فيها ذراعه دفعة واحدة ، فهتفت ( نادية ) ، وهى تهزه فى قوة :

- لا تستسلم .

ثم أمسكت رأسه ، وتطلَّعت إلى وجهه فى عصبية ، قبل أن تلتقط حقيبة الإسعافات الأوَّلية مرة أخرى ، قائلة:

- فليكن .. ربما تفيدك هذه الغيبوبة .. ستحظى بقدر طويل من الاسترخاء على الأقل ، فى نفس الوقت الذى سأضمد فيه جروحك بقدر استطاعتى .

كانت تعمل فى سرعة وتوتر بالغين ، وهى تحيط جروحه وإصاباته بالضمادات ؛ لمنع المزيد من فقد الدماء ..



وفى عصبية ، أمسكت رقبته ، لتضع ضمادة على ذلك الجرح فيها ، و ..

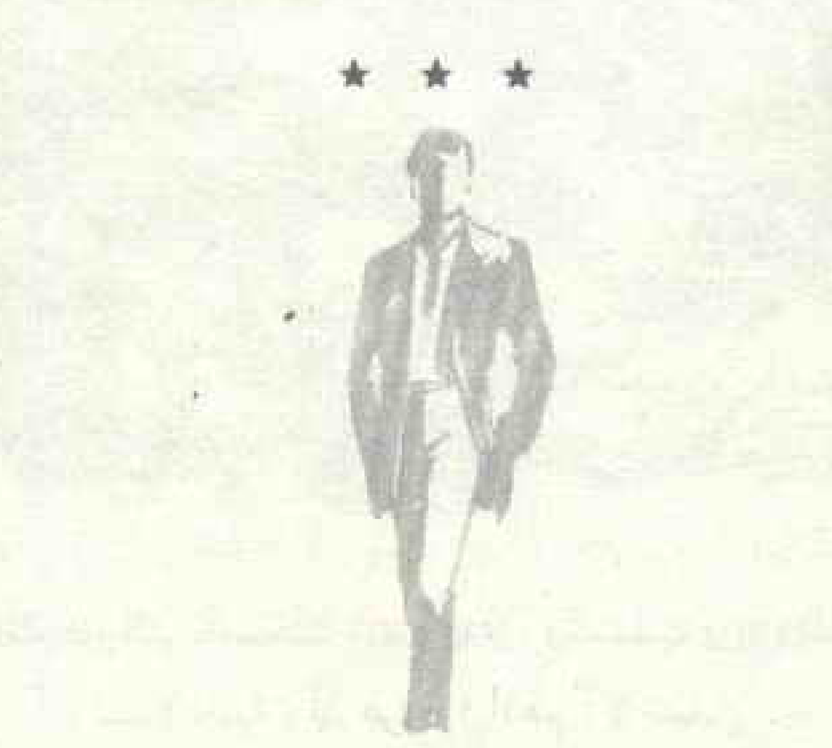
واتسعت عيناها فى رعب ، وهى ترتد كمن أصابتها ألف صاعقة ، وتصرخ :

- لا .. مستحيل !

ففى اللحظة التى أمسكت فيها رقبته ، وتحسَّست وريده العنقى ، أدركت ( نادية ) أن عروق ( أدهم ) لا تنبض بالحياة ..

وكان هذا يعنى ، بالنسبة إليها أمرًا مخيفًا ، رهيبًا .. رهيبًا للغاية .

★ ★ ★





ففى اللحظة التى أمسكت فيها رقبته ، وتحسَّسَت وريده العنقى ، أدركت ( نادية ) أن عروق ( أدهم ) لا تنبض ..

# ٨ ـ نبض الحيـاة ..

قلب مفتش الشرطة القـبرصى شفتيه ، وهو يدير عينيه فى صالـة الوصول بمطـار ( لارناكا ) ، التى تناثر فيها القتلى والمصابون ، وتجمَّعت فى أجزاء منها برك الدم ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، هاتفًا :

ـ إنهـا مذبحة بكل المقـاييس .. كيـف يمكـن أن يحدث هذا هنا ؟! إنها فضيحة .

أجابه قائد أمن المطار فى توتر بالغ :

ـ إننا نجرى تحقيقًا واسعًا فى هذا الشأن ، ورجالى يفتشـون جثث الإرهـابيين القتـلى ، بحثًـا عـن كـل ما يمكن أن يشير إلى هوياتهم .

سأله المفتش فى صرامة :

ـ وماذا عن ذلك القس المقاتل ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ بيانات الكمبيوتر تشير إلى أنـه قس إنجليزى ، حصل على تذكرته فى اللحظـات الأخيرة ، قبل إقلاع

الطائرة من ( تل أبيب ) ، ولكن مراجعة أرقام جواز سفره ، مع السفارة البريطانية ، أثبتت أنه لا وجود له على الإطلاق .

هتف المفتش :

ـ يا إلهى ! أتقول : إنه جواز سفر زائف أيضًا ؟!

أومأ قائد الأمن برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. رقم جواز السفر قادنا إلى إمرأة فى السبعين .

التقى حاجبا المفتش ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ جواز سفر زائف ، وقتال بالمدافع الآلية فى قلب المطار ، وثمانية عشر قتيلًا ، منهم عشرة من الإرهابيين .. تُرى ما الذى يمكن أن يعنيه كل هذا .

تردَّد قائد الأمن لحظة ، قبل أن يقول :

ـ الطائرة قادمة من ( تل أبيب ) ومن الممكن أن يعنى هذا صراعًا إسرائيليًا فلسطينيًا ، أو ..

قاطعه المفتش فى صرامة :

ـ لا تتسرَّع بالنتائج ، حتى لا توقعنا فى أزمة دبلوماسية يارجل .

احتقن وجه قائد الأمن ، وهو يهتف :



ـ إنه مجرَّد رأى شخصى .

قال المفتش فى غلظة :

ـ المهم ألا يبلغ الصحافة .

ثم عاد يدير عينيه فى القتلى والمصابين ، قبل أن يسأل فى عصبية واضحة :

ـ يبدو أن ذلك القس المقاتل ليس وسط القتلى أو المصابين .

أجابه قائد الأمن فى سرعة :

ـ الشهود أكدُّوا أنه قد تلقَّى ثلاث رصاصات على الأقل ، قبل أن ..

بتر عبارته بغتة ، وبدا عليه الارتباك ، فسأله المفتش فى صرامة عصبية :

ـ قبل ماذا ؟!

ازدرد قائد الأمن لعابه ، مجيبًا :

ـ قبل أن يفر .

احتقن وجه المفتش ، وكادت عيناه تجحظان ، وهو يصرخ مستنكرًا :

ـ يفرّ ؟! هل نجح فى الفرار ، بعد كل هذا ؟!

ارتبك قائد الأمن أكثر ، وراح يلوِّح بذراعيه ، قائلًا:

- الموقف كله كان مضطربًا للغاية ، ولقد ظهرت تلك المرأة بغتة ، كما أكد شهود العيان ، وكانت هناك طائرة فى انتظارهما ، و ...

اتسعت عينا المفتش ، فى غضب واستنكار شديدين ، وصرخ :

- إذن فقد نجح فى الفرار ..

كان غضبه وثورته يفوقان الحد الطبيعى ، حتى مع نجاح ( أدهم ) و ( نادية ) فى الفرار ، فحدّق قائد الأمن فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

- سيدى المفتش.. إنه ليس أمرًا شخصيًا بالتأكيد .

انتبه المفتش إلى انفعالاته البالغة ، فتنحنح فى عصبية ، قائلاً :

- بالطبع .. إنه ليس أمرًا شخصيًا .

ثم سعل مرة أو مرتين ، فى محاولة للسيطرة على توتره الزائد ، قبل أن يقول فى صرامة ، لم تخل تمامًا من العصبية :

- أريد تقريرًا وافيًا مفصلاً على مكتبى ، فى أسرع وقت ممكن .. لا تهملوا أية تفاصيل ، مهما بدت لكم تافهة قليلة الشأن .. هل تفهم ؟!



أومأ قائد الأمن برأسه إيجابًا ، وغمغم ، وهو ما زال يتطلّع إليه فى تساؤل :

- بالتأكيد .

واستدار المفتش مبتعدًا، فتابع قائد الأمن فى توتر:

- إنه ليس أمرًا شخصيًا ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

- حسبما أتصوّر .

أما المفتش نفسه ، فقد استقل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا فى سرعة ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وكأنما يحمل فى أعماقه كل غضب الدنيا ، وما إن أدرك أنه قد ابتعد بما يكفى ، حتى أوقف سيارته إلى جانب الطريق ، والتقط هاتفه الخاص ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثّه ، حتى قال :

- مخاوفك كانت صحيحة يا أدون ( ديلشمسكى ) .. ( أدهم صبرى ) نجح فى الفرار بطائرة خاصة ، على الرغم من كل المبالغات ، التى لجأ إليها ذلك الغبى ( سبيلمان ) .

نطقها بصوت يحمل الغضب ..

كل الغضب ..

* * *

« لقد توصلنا إلى المعلومات المطلوبة .. »

نطق رئيس فريق العلماء العبارة فى ارتياح واضح ، أمام مدير المخابرات العامة المصرية ، فى الثانية والربع صباحًا ، فقال المدير فى اهتمام بالغ :

ـ عظيم .. دعونا نستمع إلى ما لديكم .

تبادل العلماء بعض العبارات القصيرة السريعة ، وراجع كل منهم أرقامه للمرة الأخيرة ، وهم يجلسون فى قاعة الاجتماعات الصغرى، فى مبنى المخابرات ، ثم لم يلبث رئيسهم أن نهض إلى تلك الخريطة الكبيرة على الجدار ، قائلاً :

ـ لو أن مؤامرة الإسرائيليين معدَة ، بحيث تنسف قمرنا بصاروخ موجَه ، من مكان ما فى ( أمريكا ) الجنوبية ، مساء الغد أو بعد الغد ، بتوقيت (أمريكا) ، فهذا يعنى أن أفضل موقع لهم سيكون إما فى شمال شرق ( مكابا ) البرازيلية ، أو شرق ( كومانا ) الفنزويلية .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

ـ ألا يمكنكم التحديد بدقة أكثر أيها السادة ؟!

هزَ رئيس فريق العلماء رأسه نفيًا ، وهو يجيب :



ـ ليس إلا لو علمنا بموعد المؤامرة بالتحديد ، إذ إن ( كومانا ) تصلح لإصابة الهدف بدقة ، لو أن العملية ستتم مساء الغد ، أما ( مكابا ) ، فهى الموقع الأفضل ، لعملية بعد الغد .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ وأيهما الموعد الأفضل ، من وجهة نظركم .

أجابه أحد العلماء فى سرعة :

ـ ( كومانا ) .

التفت إليه الجميع فى آن واحد ، فاكتسى وجهه بحمرة الخجل ، وهو يكمل فى ارتباك :

ـ أعنى أننى لو كنت فى موضعهم ، لاخترت ( كومانا ) ، لأضرب ضربتى مساء الغد .. وفى السادسة والربع بالتحديد ، بتوقيت ( نيويورك ) .

سأله المدير فى اهتمام شديد :

ـ أأنت واثق ؟

تبادل العالم نظرة مع رفاقه ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ تمام الثقة .

تنهَد المدير فى ارتياح شديد ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .

ثم تطلع إلى الخريطة ، مكملاً :

ـ إذن فهى ( كومانا ) ، فى السادسة والربع بتوقيت ( نيويورك ) ، من مساء الغد .

راجع الموقع على الخريطة ، قبل أن يلتفت إلى العلماء ، ويتساءل فى قلق :

ـ ألا يمكنهم تغيير الموعد ، أو الموقع ؟!

أجابه عالم آخر :

ـ مستحيل ! الوقت لا يمنحهم الفرصة لهذا ، فلو تجاوزوا ذلك الموعد ، لن يكون أمامهم سوى الرابع من الشهر القادم ، ثم إن نقل قاعدة إطلاق صواريخ ليس بالأمر السهل .

سأله المدير :

ـ وماذا عن الصاروخ نفسه ؟!

أشار العلماء إلى زميل ثالث ، تنحنح فى توتر ، وعدّل منظاره فوق أنفه ، قبل أن يجيب :

ـ بالنسبة لتكلفة المؤامرة ، التى لم تتجاوز الملايين العشرة ، وبعد خصم تكاليف إقامة قاعدة إطلاق محدودة ، فى منطقة سرية ، يتبقّى أمامنا



خيار واحد ، بالنسبة للصواريخ الموجَّهة ، القادرة على اختراق الغلاف الجوى ، وإصابة هدف فضائى ، وهو الصاروخ ( م و ــ ٢٢ ) ، الذى تنتجه ( الولايات المتحدة الأمريكية ) ، والمعروف باسم ( سكاى ـ آى ) ، وهو تطوير لصواريخ ( توما ـ هوك ) ، ضمن مشروع حرب الفضاء .

أومأ المدير برأسه متفهمًا ، ثم التفت إلى أحد مساعديه ، وسأله بصوت خافت :

ـ ألدينا هنا تصميمات ( سكاى آى ) ؟!

أجابه مساعده فى سرعة :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد حصل عليها المقدَّم (نادر) ، فى عمليته الأخيرة .

قال المدير لمساعده بلهجة حازمة آمرة :

ـ عظيم .. استعدوا إذن لإرسال تفاصيل الموقع والموعد إلى (ن ـ ١) ، عبر برقية لاسلكية شفرية ، وليقم القسم الفنى لدينا بإرسال التفاصيل الفنية ، الخاصة بالصاروخ ( سكاى آى ) ، عبر قناة الأنترنت السرية ، ليستقبلها عند هبوطه ، مع كل الوسائل الممكنة لإبطال محركاته ، أو إفساده ، أو الشوشرة على محاولة توجيهه .

أجابه المساعد ، وهو ينهض لتنفيذ الأمر :

ـ فى الحال وفورًا يا سيِّدى .

تابعه المدير ببصره لحظة ، ثم التفت إلى فريق العلماء ، قائلاً :

ـ طبقًا لأساليبنا فى العمل ، لن يتم إرسال أية معلومات ، إلى رجلنا المسئول عن العملية ، إلا بعد عرضها عليكم مرة أخرى ، لذا فكل ما أرجوه منكم الآن، هو أن تراجعوا كل ما توصلتم إليه مرة أخيرة ، حتى يتفادى رجلنا أية أخطاء محتملة ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دلف إلى القاعة أحد مساعديه ، فى توتر ملحوظ ، فالتفت إليه المدير ، يسأله :

ـ ماذا هناك ؟!

مال المساعد على أذنيه ، هامسًا :

ـ إنها ( نادية ) .. لقد اتصلت عبر هاتف خاص بالمدنيين، من الطائرة التى التقطت بها العميد ( أدهم ) من (لارناكا) ، وتطلب التحدث إلى سيادتك شخصيًا ، وفورًا .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يغمغم :

ـ شخصيًا وفورًا ؟! عجبًا ؟!



ثم التقط سمّاعة الهاتف المجاور له ، وضغط أزرار الاتصال ، وقال :

ـ إنه أنا .. ماذا لديك يا ( نادية ) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إليها ، قبل أن يهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا ؟ ماذا تقولين ؟!

وسرت ارتجافة قوية فى أجساد الجميع ..

فذلك الانفعال ، الذى ارتسم على وجه المدير ، كان يوحى بأنه يتلقى خبرًا رهيبًا ..

رهيبًا للغاية .

★ ★ ★

راجع ( تيودور زيلمان ) ، مدير ( الموساد ) الجديد ، الأسماء الثلاثة ، التى وضعها أمامه مساعد ( ديلشمسكى ) ، للمرة التاسعة ، قبل أن ينهض من خلف مقعده ، ويقول فى توتر ملحوظ :

ـ رئيسك كان على حق .. من المؤكّد أن أحد هؤلاء الأطفال الثلاثة هو ابن ( أدهم صبرى ) ، دون أدنى شك .. وهذا بالفعل أخطر سلاح فى الوجود ، يمكن أن نواجه به ذلك الثعلب المصرى .

قال مساعد ( ديلشمسكى ) فى حماس :

ـ المهم الآن أن نعلم أيهم ابنه يا سيِّدى .

لوَّح ( زيلمان ) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

ثم عاد يلقى نظرة على الورقة ، قبل أن يتابع :

ـ جامعة ( بن جوريون ) لا تقبل سوى الإسرائيليين ، وهذا يعنى أننا نستطيع التوصُّل إلى أمهات هؤلاء الأطفال الثلاثة على الأقل .

قال المساعد فى حزم :

ـ بل قل إننا نعرف اسم الطفل المنشود يا سيِّدى .

تألَّقت عينا ( زيلمان ) ، وهو يهتف مكررًا :

ـ بالضبط .

واستدار إلى جهاز الكمبيوتر على مكتبه ، وراح يمليه أسماء الأطفال الثلاثة ، ثم طلب منه إيجاد أسماء أمهاتهم ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهرت قائمة من ثلاثة أسماء ..

لم يكن بينها اسم ( سونيا جراهام ) ..

مطلقًا ..



وانعقد حاجبا ( زيلمان) ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويحكّ ذقنه بسبَّابته ، وهو يغمغم :

ـ آه .. إنها لن تستخدم اسمها الطبيعى بالتأكيد .

تساءل المساعد فى حذر :

ـ أى اسم اختارت إذن ؟!

عادت أصابع ( زيلمان ) تضرب أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا يحتاج إلى بحث جديد .

غمغم المساعد ، وعيناه تتابعان شاشة الكمبيوتر :

ـ وسريع ..

رمقه (زيلمان) بنظرة جانبية ، وضغط زرًّا أخيرًا..

وانطلق الكمبيوتر ، يراجع كل بيانات الأمهات الثلاث ..

بمنتهى الدقة ..

والسرعة ..

ثم تراصت البيانات مع الصور ، فى ثلاثة أعمدة متوازية ..

وفى هذه المرة أيضًا ، لم تكن صورة ( سونيا جراهام ) بين الصور الثلاث ..

وفى عصبية ، هتف المساعد :
ـ عجبًا ! كيف سيمكننا إذن .....
قاطعه ( زيلمان ) بإشارة حازمة من يده ، وعيناه تتألقان فى ظفر ، ثم لم يلبث أن التفت إليه بابتسامة متألقة بدورها ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :
ـ لا يوجد شىء كامل .
ثم أشار إلى نهاية العمود الخاص بإحدى الأمهات الثلاث ، فمال المساعد بأقصى ما يمكنه ، لإلقاء نظرة مقربة ، على السطر الذى يشير إليه المدير ..
ولم يكد الرجل يفعل ، حتى هتف على الرغم منه فى حماس :
ـ أنت على حق يا سيدى .
ففى نهاية بيانات تلك المرأة ، كانت هناك عبارة ، تقول :
ـ توفيت فى السابع من يوليو ، ألف وتسعمائة وتسعين .
وكان هذا يتعارض بشدة ، مع كل البيانات ، المسجلة فى سجلات مدرسة ( بن جوريون ) ، والتى تشير إلى أن الأم هى المسئول الأول عن الطفل ، منذ



ألحقته بالقسم الداخلى بالكلية ، عام خمسة وتسعين ..
وتألقت عينا ( زيلمان ) أكثر وأكثر ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويشير بيده ، قائلاً :
ـ أخيرًا ، أمسكنا بالسلاح المناسب ، لمواجهة ( أدهم صبرى ) .
وكان على حق تمامًا ، فى كل حرف نطق به ..
لقد أصبح بيدهم أقوى سلاح ، يمكن مواجهة ( أدهم صبرى ) به ..
أقوى وأخطر الأسلحة ..
دون أدنى شك .

* * *

كل شىء كان يدور بشدة وعنف ، فى رأس ( جيهان ) ..
كل شىء .
لقد غرقت فى غيبوبتها طويلاً وكثيرًا ، حتى لم تعد تدرى ماذا صار ، ولا كيف أصبحت ..
وها هى ذى الآن تستعيد وعيها أخيرًا ..
بمنتهى البطء ..

وها هو ذا شعورها بما حولها يأتى رويدًا رويدًا ..
ترى أين هى الآن ؟!
إنها تشعر بفراش وثير تحتها ، وبظلام دامس يحيط بها ..
وهناك أصوات تأتى من بعيد ..
من بعيد جدًا ..
وها هى ذى الأصوات تقترب ..
بل تتضح ..
إنها أصوات قريبة ، ولكن أذنيها كانتا عاجزتين عن سماعها فى وضوح ..
وهى تسمعها الآن ..
ولكنها مازالت تعجز عن تفسيرها ..
والظلام مازال يحيط بها ، و .....
مهلاً .. إنه ليس الظلام ..
هناك عصابة سميكة تحيط بعينيها ..
ومعصماها مقيدان إلى الفراش ..
بشدة ..
و ..
« لقد استعدت وعيك .. أليس كذلك ؟! »



اخترق السؤال أذنيها ، بصوت أنثوى ، يمتزج برنة آلية عجيبة .
رنة تنشأ من استخدام أجهزة تغيير الأصوات ..
إنها امرأة ، تستخدم وسيلة لتغيير صوتها ..
وهذا يعنى أنه صوت مألوف لها ..
صوت يمكن تمييزه ..
« أعلم أنك تسمعيننى ، وتتساءلين من أنا ، ولماذا استخدم جهاز تغيير الأصوات .. »
واصلت المرأة حديثها ، فازدردت (جيهان) لعابها ، وقالت :
ـ الأمر لا يحتاج إلى تساؤل .. إنك تخشين أن أتعرَّفك .
أطلقت المرأة ضحكة ساخرة ، قبل أن تقول :
ـ خطأ يا عزيزتى .. إننا لم نلتق وجهًا لوجه قط ، حتى يمكنك تعرُّفى ، أو تمييز صوتى .
ثم اقترب صوتها، وكأنها تميل نحوها، مستطردة :
ـ إننى أتخذ الحيطة للمستقبل .
ازدردت ( جيهان ) لعابها مرة أخرى ، وهى تسأل فى حذر :

- أيعنى هذا أنك تنوين إطلاق سراحى ؟!

تراجعت المرأة ، وأطلقت ضحكة عالية مجلجلة ، قبل أن تجيب فى سخرية متهكمة :

- خطأ مرة أخرى يا عزيزتى .. من ناحيتى أنا ، لا أنوى إطلاق سراحك مطلقًا ، ولكننى اعتدت الاحتياط لكل الاحتمالات المستقبلية ، حتى غير المنطقى منها .

قالت ( جيهان ) فى حدة :

- كاحتمال أن أتخلص من هذه القيود ، وأحطم أنفك مثلاً .

أطلقت المرأة ضحكة ساخرة أخرى ، وقالت :

- من المؤكد أن شكلى سيصبح سخيفًا بأنف محطم ، ولكن الواقع أننى لم أضع هذا الاحتمال فى حسباتى قط ، إذ إن ثلاثة من رجالى يحيطون بك الآن ، ويصوبون مدافعهم الآلية إلى رأسك طوال الوقت ، وسينسفونه بلا أدنى تردد ، إذا ما اشتموا رائحة ذرة من الخطر ، يمكن أن تهددنى .

انعقد حاجبا ( جيهان ) ، وراحت تقاوم قيودها لحظة ، قبل أن تقول فى حنق :



- من أنت بالضبط ؟!

أجابتها المرأة فى هدوء :

- يمكنك أن تقولى : إننى مغامرة حسناء ، تهوى الخطر وتعشقه ، على الرغم من أنها بالغة الثراء ، وتمتلك من المال ما يكفى لتحيا دولة صغيرة فى رخاء ، لمائة عام على الأقل .

سألتها ( جيهان ) :

- لماذا تفعلين هذا بى إذن ؟!

ران الصمت لحظة على المكان ، والتقطت أذنا ( جيهان ) صوت قداحة تشتعل ، ثم اشتم أنفها رائحة تبغ محترق ، قبل أن تقول المرأة :

- أنت جزء من الاحتياطات المستقبلية ، التى أتخذها دائمًا ، قبل أى عمل كبير .

سألتها ( جيهان) ، وهى تقاوم قيودها مرة أخرى :

- مجرد احتياط ؟!

أجابتها المرأة :

- بالتأكيد .. إننى أستعد للقيام بعملية كبرى ، وأخشى أن يدس بطلكم أنفه فى شئونى ، كما يفعل مع الجميع ، لذا فأنا أستعد بالرهينة مسبقًا ، حتى أضمن عدم اقترابه منى وقت اللزوم .

شعرت ( جيهان ) بجفاف حلقها ، وهى تغمغم :

ـ أتقصدين ( أدهم ) ؟!

ولكن غمغمتها لم تتجاوز حلقها ، فهتفت فى حنق:

ـ أهو ( أدهم ) ؟!

قالت المرأة فى برود :

ـ بالضبط .

ثم نهضت من مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة :

ـ لعلك تتساءلين الآن ، لماذا أتيت لزيارتك ؟!

أجابتها ( جيهان ) ، فى سخرية عصبية :

ـ وهل ستتكرمين بمنحى الجواب ؟!

طال الصمت هذه المرة ، وتصاعدت رائحة التبغ المحترق أكثر وأكثر ، قبل أن تجيب المرأة ، عبر جهاز تغيير الأصوات ، فى لهجة صارمة :

ـ أعلم جيدًا أنك مقاتلة شرسة عنيفة ، من العسير أن تستسلم ، أو تتوقَّف عن المقاومة ، وما أتيت لأخبرك به ، هو أننى قد اتخذت كل ما يلزم ، لمنعك من ارتكاب أية حماقات ، حتى أنتهى من عمليتى .. قيودك سيتم انتزاعها ، فور خروجى من هنا ،



وفراشك مجهز بحيث يمكنك الانتقال منه إلى مقعدك والعكس ، بأبسط وسيلة ممكنة ، أو بمعنى أدق : لقد منحتك إقامة فاخرة ، ولكن هذه الإقامة ستتحوَّل إلى قطعة من الجحيم ، عند أوَّل محاولة للفرار ، أو أوَّل اعتداء على أحد رجالى .

قالت ( جيهان ) فى سخرية :

ـ أمن المفترض أن أرتجف ذعرًا ؟!

أجابتها فى صرامة :

ـ بل من المفترض أن تطيعى أوامرى دون مناقشة .

ثم عادت تميل نحوها ، مستطردة :

ـ أو مقاومة .

صمتت ( جيهان ) ، بضع لحظات ، قبل أن تقول :

ـ سأفكِّر فى الأمر .

قالت المرأة فى صرامة أشدّ :

ـ إياك أن ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتفعت طرقات على الباب ، فقالت المرأة فى حدة :

ـ من الطارق ؟!

أتاها صوت مرتجف ، يقول :

ـ إنه أنا يا سيِّدتى .

سمعتها ( جيهان ) تقول فى غضب :

ـ لقد أمرت بألا يقاطعنى أحد .

قال الرجل ، بنفس الصوت المرتجف :

ـ ولكنهم يقولون إن الأمر عاجل ، ولا بد لك من معرفته على الفور .

صمتت المرأة لحظة ، ثم قالت فى صرامة :

ـ هات مالديك .

أرهفت ( جيهان ) سمعها ، وتناهى إليها حفيف ورقة ، تنتقل من يد إلى يد ، أعقبتها فترة صمت قصيرة جدًّا ، قبل أن تهتف السيِّدة فى دهشة :

ـ أهذا معقول ؟!

قالت ( جيهان ) فى حذر :

ـ يبدو أنه خبر غير سار .

مضت فترة صمت أخرى ، قبل أن تقول السيِّدة بلهجة واضحةَ التوتر :

ـ من الناحية العملية البحتة ، يعد هذا خبرًا سارًّا للغاية ، ولكن مشكلته أنه جاء مباغتًا ، على نحو لم أكن أتوقَّعه ، وفى توقيت غريب جدًّا .



لم تدر ( جيهان ) لماذا اختلج قلبها فى صدرها ، وهى تسأل :

ـ أى خبر هذا ؟!

صمتت المرأة طويلاً هذه المرة ، قبل أن تقول :

ـ إنه يخصّ صديقك ( أدهم ) ..

وبمنتهى العنف ، انتفض جسد ( جيهان ) كله ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

كالحجر ..

* * *

« كم تبقَّى أمامنا ، حتى نبلغ ( كراكس ) ؟! »

ألقى ( ديلشمسكى ) سؤاله فى عصبية ، على قائد الطائرة ومساعده ، فأجابه الأوَّل فى ضجر واضح :

ـ إننا ننطلق إلى الهدف مباشرة يا أدون ( ديلشمسكى ) ، وليس بوسعنا زيادة السرعة ، أو تغيير المسار .. حاول أن تتحلَّى بالصبر .

لم يرق الجواب لـ ( ديلشمسكى ) ، فقال فى صرامة :

ـ سألتك عن الوقت المتبقَّى ، وليس عن فلسفتك الخاصة فى الحياة .

تبادل الطيَّار ومساعده نظرة متوترة ، قبل أن يجيب الثانى ، فى لهجة رسمية جافة :

ـ مازالت أمامنا تسع ساعات يا أدون ( ديلشمسكى ) ، ولكننا نستطيع التوقف فى ( لندن ) لبعض الوقت ، و .....

قاطعه ( ديلشمسكى ) فى صرامة :

ـ لا توقف .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، ثم غمغم الطيَّار :

ـ كان مجرَّد اقتراح .

استدار ( ديلشمسكى ) عائدًا إلى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اعتبره مرفوضًا .

مطَّ الطيَّار شفتيه ، وهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ تسع ساعات أخرى .. ترى هل سنحتمل ؟!

هزَّ مساعده كتفيه ، وقال :

ـ وماذا بيدنا سوى هذا ؟!

ثم اختلس نظرة إلى ( ديلشمسكى ) ، الذى استقرَّ على مقعده ، وأطلق زفرة ملتهبة ، مستطردًا :

ـ إنه قدرنا .



كان ( ديلشمسكى ) يشعر بتوتر بالغ فى الواقع ، مما ضاعف من شعوره ببطء مرور الوقت ، فراح يتململ فى مقعده ، وينقل ساقيه من موضع إلى آخر ، وهو يلقى على نفسه ألف سؤال ..

كيف نجا ( أدهم ) من حادثة ( لارناكا ) ، على الرغم من كل ما حدث ؟!

ومن كل إصاباته ؟!

كيف أمكنه أن يتجاوز كل هذا العنف ؟!

كيف ؟!

ثم من تلك المرأة المجهولة ، التى ظهرت فجأة ، لتنقذه من الموت ؟!

وماذا عن الطائرة ؟!

كان المفترض أن يلتقى بطائرة مؤسسة ( أميجو ) فى ( لندن ) ، فلماذا أتت إليه تلك الطائرة فى ( لارناكا ) ؟!

وفى سرعة ، وعلى الرغم من عصبيته وتوتره ، راح عقله يعيد ترتيب الأمور والأحداث ، على نحو يصلح لتفسير الموقف كله ..

إنها طائرة مصرية ..

طائرة وصلت إلى ( لارناكا ) بقيادة تلك المرأة ..
وهذا يعنى أنه لن يلتقى بتلك الطائرة فى (لندن) ..
بل ، ويبدو أن هذا هو المقرَّر منذ البداية ..
منذ اتصال ( أدهم ) بمؤسسته فى ( نيويورك ) ..
من الواضح أنه اعدَ خطته بذكاء تام ، منذ اللحظة الأولى ..
لقد صنع لهم فخًا ، وتركهم يقودون أنفسهم إليه كالسذج ..
إنه يعلم حتمًا بأمر تسرُّب المعلومات من مؤسسته ..
يعلمه ، ويجيد استغلاله ..
إلى أقصى حد ..
ولكن هذا لم يعد يهم ..
المهم أنه قد نجح فى تجاوز الفخ ..
وأنه فى طريقه مثله إلى ( أمريكا الجنوبية ) ..
ولكن الطائرة التى فرَّ بها مع زميلته ، والتى أشار إليها تقرير عيونه فى ( لارناكا ) ، ليست بالطائرة القادرة على عبور المحيط ..
إذن فهى ستتوقَّف حتمًا للتزوُّد بالوقود ..



أو حتى لاستبدالها بطائرة أكبر حجمًا ، وأكثر قوة ..
وهذا لن يتم حتمًا فى أية مطارات رسمية ..
بل فى مطار خاص ..
خاص جدًا ..
وسرى ..
ومرة أخرى ، راح عقله يراجع معلوماته الجغرافية كلها ..
أماكن عديدة تصلح للهبوط ..
ولاستبدال الطائرة ..
( برست ) فى ( فرنسا ) ..
( ليفربول ) فى ( انجلترا ) ..
والساحل الأيرلندى ..
تُرى أيهم سيقع عليه اختيار ( أدهم ) ، بعد معركته العنيفة فى ( لارناكا ) ؟!
أيهم ؟!
انطلق رنين هاتف الطائرة ، فى تلك اللحظة ، فالتقطه فى حركة سريعة ، وقال فى توتر شديد ، نقله صوته فى وضوح :

ـ ( ديلشمسكى ) ..

أتاه صوت مديره ( زيلمان ) ، وهو يقول :

ـ كيف أنت الآن يا ( يارون ) ؟! لقد توصلنا إلى معلومات تهمك للغاية .

سأله فى لهفة :

ـ هل عرفتم ابن ( أدهم ) ؟!

أجابه ( زيلمان ) فى ارتياح :

ـ بالطبع .. لقد توصلنا إلى معرفته ، على الرغم من محاولة ( سونيا ) لإخفاء هويته عنا .

سأله ( ديلشمسكى ) فى انفعال :

ـ وماذا ستفعلون الآن ؟!

أجابه ( زيلمان ) :

ـ لقد بدأنا فى اتخاذ إجراءاتنا بالفعل .. مساعدك عاد الآن إلى كلية ( بن جوريون ) .. سيوقظ الطفل ، ويحمله إلينا ..

ثم أطلق ضحكة خبيثة ، قبل أن يتابع :

ـ وسنتولى نحن رعايته ، بدلاً من والده ووالدته .

قال ( ديلشمسكى ) فى حماس :

ـ هذا سيمنحنا سلاحًا خطيرًا ، ضد (أدهم صبرى).



أجابه ( زيلمان ) :

ـ وضد ( سونيا جراهام ) نفسها .. هذا سيضعها تحت سيطرتنا تمامًا .

غمغم ( ديلشمسكى ) :

ـ لو أنها ما زالت على قيد الحياة :

ـ قال ( زيلمان ) فى اهتمام :

ـ الواقع أن .....

بتر عبارته بغتة ، على نحو أدهش (ديلشمسكى) ، فتساءل فى قلق :

ـ ماذا هناك يا سيِّدى ؟!

جاوبه صمت مطبق ، فهتف بمزيد من القلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أتاه صوت ( زيلمان) مفعمًا بالانفعال، وهو يجيب :

ـ إنه خبر جديد ، نقله إلىَّ قسم التنصُّت ، المختص بمراقبة كل اتصالات الأقمار الصناعية ، التى ترد إلى الهواتف المدنية ، لجهاز المخابرات المصرى .

سأله ( ديلشمسكى ) ، فى توتر :

ـ أى خبر هذا ؟!

أجابه ( زيلمان ) بنفس الانفعال :

ـ إنه خبر سيقلب كل الأمور رأسًا على عقب .

كرَّر ( ديلشمسكى ) فى عصبية :

ـ أى خبر هذا يا أدون ( زيلمان ) ؟!

أجاب ( زيلمان ) بلهجة ظافرة هذه المرة :

ـ لقد التقطوا محادثة ، أجرتها زميلة ( أدهم ) ، من الطائرة التى فرَّا بها من ( لارناكا ) .. لقد كانت شديدة الانفعال والتوتر ، حتى إنها أجرت اتصالها عبر الهواتف المدنية العادية غير المؤمَّنة ، ودون استخدام أية شفرة .. هل تعلم ماذا كانت تبلغهم ؟!

جفَّ حلق ( ديلشمسكى ) ، وهو يتساءل :

ـ ماذا ؟!

أجابه ( زيلمان ) بلهجة ملؤها الظفر :

ـ اسمع بنفسك .

مضت لحظة من الصمت ، بدت لـ ( ديلشمسكى ) أشبه بدهر كامل ، قبل أن يأتيه تسجيل لمحادثة ( نادية ) ، وهى تبكى فى انفعال شديد ، هاتفة :



ـ سيادة المدير .. ( أدهم صبرى ) لم يحتمل إصاباته هذه المرة.. لقد مات.. مات متأثرًا بجراحه .

واتسعت عينا ( ديلشمسكى ) ، وهو يقفز من مقعده ، صارخًا :

ـ مستحيل !

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

بكل المقاييس .

* * *

[ انتهى الجزء الأوَّل بحمد الله ]

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

( ساعة الصفر )

# عملية النيل

- كيف قادت المصادفة (أدهم صبرى)، إلى كشف أخطر عملية إسرائيلية ضد (مصر) ؟!
- من تلك السيدة المجهولة، التى اختطفت (چيهان)، فور وصولها إلى (نيويورك) ؟!
- ترى هل ينجح (أدهم) فى إنقاذ قمرنا الصناعى، أم يربح الإسرائيليون (عملية النيل) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل).



العدد القادم : ساعة الصفر



د. نبيل فاروق

## رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

125

الثمن فى مصر ..
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم